

بَيَانُ الْمُعْجَاظِ
فِي مَسْجِدِ مُقَدِّمَةِ

ابْنِ أَبِي ذَرٍّ الْقَيْرَوَانِيِّ

رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى
(٥٣١٠ - ٥٣٨٦)

مَسْجِدِ الشَّيْخِ الذَّكَاوَرِيِّ

صَلَحَ بِنُ فُوزَانَ الْعُزْزَانِ

مُتَّصِفٌ بِمَنْزِلَةِ كِبَارِ الْعُلَمَاءِ وَمُتَّصِفٌ بِالْجَنَّةِ الدَّائِمَةِ وَالْإِلَهَامِ
مِنْ مَوْلَى الْمُرْسَلِ أَمَّا الْقَائِدُ فِي سَهْمِ الْمَرْيُوتِ بِنُ هَبِ الْعَزِيزِ الْمَعْرُوفِ

الْمَشْهُورُ بِهَذَا الشَّيْخِ وَالْمُتَّصِفُ

فَهْدَى بِنُ إِبْرَاهِيمَ الْخَضِيمَ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين... أما بعد:

فهذا تعليق وجيز على مقدمة الشيخ الإمام/ ابن أبي زيد في بيان عقيدة السلف قدّم بها لرسائله التي ألّفها في الفقه المالكي علقته عليها أثناء قراءتها في المسجد. وقام بإعدادها واستخراجها من الأشرطة فضيلة الشيخ/ فهد بن إبراهيم الفعيم، فجزاه الله خيراً، وغفر لي وله وللشيخ ابن أبي زيد، ونفع بهذا العمل. وصلى الله وسلّم على نبينا محمد.

وهي مقدمة تربوية يجب أن يدرس عليها طلاب المدارس ويلزمون بحفظها لأهميتها وكبير فائدتها.

الله يحفظه

صالح بن فوزان الفوزان

١٤٢٦/٦/٢٩ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين . والعظمة قرآننا محمد وعليه
 والجميع به التجميع - أما بعد فهذه تعليقاتي وحيث علم مقدمة الشيخ النجاشي
 ابن أبي زيد في بيان هذه المقدمة السبقت قدم بها قسماً منها التي ألفتها
 في الحقبة الأولى على خلقته عليها أنا وقرأتها في المسجد . وقام بإعدادها
 واستخرجها عنه الأستاذ طه مصطفى الشيخ فؤاد بن إبراهيم النعمان
 ثم جاءه أستاذي وأقرني قوله والشيخ ابن أبي زيد وضع بهذا العمل
 وحيث علمت من الشيخ نسيان محمد . وهي مقدمة ترويض على جميع أرباب
 عليها طلبة المدارس . ويلزم من هذا العمل لأصحابنا وكثير ما تفتقد

كتبته
 علي بن محمد بن أبي زيد
 ١٢٩٤ / ١٢٩٤ هـ

فَسِرُّهُمُ الْإِسْلَامُ

هذه مقدمة الإمام الحافظ عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي زيد القيرواني^(١) على رسالته التي ألّفها في الفقه المالكي، وجرت عادة السلف - رحمهم الله - أنهم إذا ألّفوا في الفقه يبنّون بيان العقيدة، ويضمّون الفقه إلى: الفقه الأكبر وهو فقه العقيدة، والفقه في الفروع وهو الفقه في العبادات والمعاملات؛ لأن أركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.

فالركن الأول من أركان الإسلام هو العقيدة، وهي الإيمان بالأركان الستة، وهي الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله والإيمان باليوم الآخر وبالقدر غيره وشيء، فكانوا يكتبون في بيان هذا الركن كتب العقائد الصحيحة على منهج السلف، ثم يتبعون ذلك بشرح الأركان الأربعة: الصلاة، والزكاة، والصيام، والحج، وما يتبع ذلك من المعاملات والوصايا والأوقاف والمواثيق والجنابات والقضاء... إلخ، ولكن لما تأخر الزمان فصلوا علم التوحيد على حدة، وجعلوا قسم العبادات وما يتبعها على حدة، كما هو في الكتب الموجودة الآن على المذاهب الأربعة، ومن هذه المؤلفات رسالة ابن

(١) هو الإمام العلامة، عالم أهل المغرب، أبو محمد، عبد الله بن أبي زيد، القيرواني المالكي، الملقب بمالك الصغير. كان تلمذ على طريقة السلف في الأصول، لا يدري الكلام، ولا يتأول، قال القاضي عياض: أحاز رئاسة الدين والدنيا، ورحل إليه من الأقطار ونسب أصحابه، وكثر الأهلون عنه، وهو الذي لخص المذهب، توفي سنة ٣٨٩هـ، انظر: سير أعلام النبلاء (١/١٧٠ - ١٧١/١٧٢).

أبي زيد، ألّفها في فقه الإمام مالك ومذهبه، وبدأها بمقدمة في التوحيد، على نمط ما عليه المتقدمون من العلماء، وهذه المقدمة اعتنى بها العلماء شرحاً وتوضيحاً، وكذلك حفظاً ونظماً، لاختصارها ولأهميتها وسلامتها من الأخطاء؛ لأنها ألّفت على مذهب السلف الصالح، وشرحت بشروح انحرف بعضها عن معانيها الصحيحة، وحوّلوها إلى المذاهب المتأخرة^(١١)، ولكن شروحها القديمة وما جاء على نظمها من الشروح المتأخرة سليمة والحمد لله.

وكان عهد الأئمة الأربعة ومن قبلهم على منهج السلف، وكذلك تلاميذهم الذين أخذوا عنهم كانوا على مذهب السلف أيضاً في الاعتقاد وفي العبادة وفي أمور الدين، إلى أن انتهت المائة الرابعة من الهجرة، فحينئذ دخل الدخيل على المسلمين، حيث جاءت الصوفية، وجاءت الثيورية، وجاء علم الكلام والمنطق، فصار الناس - إلا قليلاً منهم - متأثرين بالصوفية، والثيورية، والنسبية، ويعلم الكلام... إلى آخره، حتى تركوا الاستدلال بالكتاب والسنة، ودعّبوهم إلى الاستدلال بعلم الكلام والمنطق والجدل، ويسمون ذلك: الأدلة العقلية والبراهين العقلية، وأما أدلة الكتاب والسنة فيسمونها: الأدلة السمعية الظنية، فهي عندهم نقيض الظن، أما علم المنطق وعلم الكلام فزعم يلبس اليقين؛ ولذلك سموها بالبراهين العقلية، ويقدمون العقل على النقل، ويقولون: إن العقل لا يخطئ، بخلاف النقل فقد يدخله شيء من ضعف السند والرواية إلى آخره، ويشككون فيها، ونوا عقائدكم على علم الكلام.

ودخل هذا على بعض أتباع المذاهب الأربعة، فتجد الذي ينسب إلى مذهب الشافعي - مثلاً - شافعيّاً في الفقه، ولكنه عقلي في العقيدة على خلاف مذهب الشافعي فيها، حتى يقول قائلهم (عن نفسه) أنه شافعي مذهباً نقشبدي معتقداً، فهو شافعي في علم الفقه، ولكنه في العقيدة نقشبدي أو عقلائي، وانتشر هذا فيهم حتى خالفوا عقائد أئمتهم، وأخذوا عقائد المتأخرين، وصاروا تشكيلين مثل الخنثي المشكّل الذي لا يُدرى هل هو فكر أم أخرى.

(١١) انظر ما سطره الشيخ بكر أبو زيد بكّة في: عقيدة السلف مقدمة ابن أبي زيد.

فهذه أمة دخلت على المسلمين، فبنت بسببها المشاهد على القبور، وتعلقت القلوب بالمشاهد - إلا من شاء الله - وهجرت المساجد.

ولما استولى الفاطميون - وهم الشيعة الباطنية - على مصر، وعلى غالب البلاد، وفشت الطرق الصوفية بنوا القباب على القبور وشيّدوها، فتغيرت العقيدة عند كثير من الناس، وصار الإسلام اسماً لا حقيقة إلا من رحم الله، ولكن الله قبض أئمة من المجتهدين يدعون إلى مذهب السلف، ويبشرون ما في مذاهب الخلف من النقص والمخالفة، منهم: شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وجماعة من المحدثين السلفيين، وهؤلاء مجددون لأن الله يعث لهذه الأمة على كل رأس مائة سنة من يحدد لها دينها كما في الحديث^(١)، فالحمد لله أن الله يُقبض لهذا الدين من ينصره ويدعو إليه ويبشّر للناس، وإن استحكمت الظلمات، ودبت المذاهب المنحرفة إلى المسلمين فإن الله - جلّ وعلا - يحفظ دينه ويقبض له من يحدده ويدعو إليه ويبشّر للناس، هذا من فضل الله وإحسانه والله الحمد؛ ولكن الانحرافات غلبت على العالم الإسلامي - إلا من رحم الله ﷻ - ومن ذلك الانحراف في العقيدة حيث تركوا عقيدة السلف، وأخلوا عقيدة الخلف المحببة على علم المنطق، وعلم الكلام، بنوا عليها عقائدهم وموافاتهم التي يترسونها ويترسونها في مساجدهم ومدارسهم وجامعاتهم.

وهذه المقدمة لابن أبي زيد من النمط الأول الذي هو على مذهب السلف؛ لأن المؤلف مُتقدم؛ فهو من القرن الرابع، وكان على عقيدة السلف التي درسها على مشائخه، وتبشّر في مذهب الإمام مالك حتى صار مرجعاً فيه، وصار يُسمى مالكا الصغير؛ لأنه يشبه الإمام مالك في إتقانه للمذهب والعقيدة، وهو محل ثقة الناس، ومن مؤلفاته هذه الرسالة، ومقدمتها.

فهي مقدمة ثمينة جداً، وسبب تأليفها مع الرسالة أن مدرّس القرآن الذي

درس القرآن، طلب منه أن يؤلف رسالة في فقه الإمام مالك تكون بأيدي الطلاب ليدرسهم إياها، ويحفظهم إياها، فكتب هذه الرسالة مع مقدمتها استجابة لمعلمه، فهذه الرسالة ومقدمتها طارت بأيدي الناس وفرحوا بها، وانتشرت وصارت تُدرس للطلبة من حفظ القرآن وغيرهم، وهذا ببركة التحقيق وصلاح النية، وليست العبرة بسخامة المؤلف أو كثرة المجلدات، وإنما العبرة بما في المؤلف من العلم الصحيح، وما في القلب من الإخلاص لله ﷻ، ولو كان المؤلف مختصراً، فهذه الرسالة ورقات قليلة، ومع هذا نالت هذه الشهرة العظيمة نظراً لما تضمنته من التحقيق والعلم الصحيح، ومع سلامة نية مؤلفها وإخلاصه لله ﷻ ونصحه، وهكذا العالم المحقق يجعل الله البركة في علمه، وفي مؤلفاته ولو كانت صغيرة وقليلة.



نص مقدمة الرسالة

قَالَ أَبُو مُحَمَّدٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي زَيْدٍ الْقَيْرَوَانِيُّ^(١) رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ
وَأَزْوَاجُهُ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ^(٢) الَّذِي اجْتَدَأَ الْإِنْسَانَ بِفَعْنِيهِ^(٣).....

الشرح

[١] نسبة إلى القيروان بلدة في بلاد المغرب، وقد نشأ بها المؤلف فشب إليها.

[٢] افتتح هذه المقدمة بالحمد لله، والثناء عليه، على نعمه العظيمة، ومنها: خلق الإنسان، الذي احتسب الله في خلقه وتصويره؛ لأنه هبأ للمسؤولية عظيمة من بين المخلوقات؛ وهي عبادة وحده لا شريك له. قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادَةٍ﴾ [الدَّارِي: ٥٦]، فخص الله هذا الإنسان بخصائص ليست في بقية المخلوقات؛ بأن سكر له ما في السموات وما في الأرض ليستعين بذلك على عبادة الله ﷻ، فإله - جلّ وعلا - خلق الإنسان وعلمه البيان، ورزقه من أنواع الرزق؛ من أجل أن يقوم بعبادة الله - جلّ وعلا -، فإله خلق آدم ﷺ أبا البشرية، وجعله خليفة في الأرض، وعلمه أسماء كل شيء، وفضل على الملائكة بالعلم، حتى اعترفوا بفضله، وأمرهم الله أن يسجدوا له لثبات امتياز عليهم بالعلم، الذي ليس عند الملائكة؛ أمرهم بالسجود له: سجود إكرام وتحية لا سجود عبادة، فسجود العبادة لا يجوز إلا لله ﷻ في جميع الشرائع، وأما سجود التحية فكان جائزاً في شرائع الأمم السابقة، ثم نسخ في شريعة محمد ﷺ، فلا يسجد للمخلوق، لا سجود عبادة ولا سجود تحية، وسجود يعطوب وبني يوسف ﷺ كان سجود تحية، وسجود إكرام لا سجود عبادة.

[٣] خلق الله آدم ﷺ أبا الإنسانية، فأوجده من عدم من الطين على

22

أحسن صورة، قال تعالى: ﴿لَقَدْ عَلَّمَهُ الْإِسْمَ وَتَسْمَىٰ لَهُمْ ۝﴾ (النحل: ١٨)، وأعطاه الحواس من السمع والبصر والعقل الذي ميّزه به من بين المخلوقات، ليبهر به الضار من النافع، والطيب من الخبيث، والخير من الشر، هذا من خصائص الإنسان، لأن الله أكرمه، قال تعالى: ﴿لَقَدْ عَلَّمَهُ الْإِسْمَ وَتَسْمَىٰ لَهُمْ ۝﴾ (النحل: ١٨)، وقال: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَلَّمْتُكَ يَوْمَ الْعَشِيرِ ۝﴾ (الشمس: ٥) إلى خلقه فتوكله فتوكله ﴿وَإِنْ شِئْتَ لَتَكُنَّ رُكْنًا ۝﴾ (الانقطار: ٦ - ٨)، فعلى هذا الإنسان أن يحمد الله على هذه النعمة العظيمة، ويقوم بشكرها لله ﷻ، ويقوم بما أوجب الله عليه من العبادة لله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ الْقُرْآنَ وَالْإِسْمَ إِلَّا يَتَذَكَّرُونَ ۝﴾ (النحل: ١٨) ما أريد بهم من يتذكروا الله ﷻ بحاجته إلى العبادة؟ ليس بحاجة إليها، لكن العبد هو الذي بحاجة إلى العبادة من أجل أن تصله باله، وأما الله - جلّ وعلا - فهو غني عن العباد، فلو كفروا كلهم ما نقصوا من ملكه شيئاً، ولو أطاعوه كلهم ما زاد ذلك في ملكه ﷻ شيئاً، وإنما ضرر هذا أو نفعه راجع إليهم هم، فأمرهم بعبادته ليكرمهم بذلك، وليصلوا به ﷻ، ولو كفروا كلهم ما ضره ذلك، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ۝﴾ (البقرة: ١٩٧)، فلو كفروا كلهم ما زاد ذلك في ملكه شيئاً، كما في الحديث القدسي: أن الله - جلّ وعلا - يقول: «يا بني آدمي لو أن أولئكم وأمرئكم وإنسئكم وجنئكم ثابثوا على أقدس قلب رجل واحد ينحتم ما زاد ذلك في ملكي شيئاً، يا بني آدمي لو أن أولئكم وأمرئكم وإنسئكم وجنئكم ثابثوا على أقدس قلب رجل واحد ما نقص ذلك من ملكي شيئاً... يا بني آدمي إننا من أمتائكم أخصيها لكم ثم أولئكم بإننا لمن أمتائكم خيراً فليحتم الله ومن وجد غير ذلك فلا يلزم من ذلك شيء» (١).

وَصُوْرَةٌ فِي الْأَرْحَامِ بِحُكْمَتِهِ^(١)، وَابْتِزَازٌ^(٢) إِلَى رَفْقِهِ، وَمَا يَشْرُوْهُ^(٣) مِنْ رِزْقِهِ^(٤)، وَحَلَقَةٌ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ^(٥).....

التَّحْقِيقُ

= من نعمته سبحانه على هذا الإنسان أنه خلقه على أحسن صورة وأحسن تقويم، وسكّر له ما في السموات وما في الأرض.

فهذه المخترعات من المراكب والاتصالات... كلها لخدمة هذا الإنسان لا ليطغى بها ويتكبر ويتجبر أو يستخدمها في تدمير البشرية؛ وإنما خلقها ليستعين بها على طاعة الله، وعلى نفع خلق الله، ولا يجوز للإنسان صناعة المخترعات المدمرة والأسلحة المهلكة للبشرية، وإنما يصنع الآلات المعينة على عبادة هذا الكون وقمع البشرية.

[١] كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ أَرَادَى يَتَّخِذْ مِنَ الْآيَاتِ كَيْفَ يَتَذَكَّرَ﴾ (آل عمران: ١٩٦) أي: أرحام النساء، قال تعالى: ﴿يَتَذَكَّرُ فِي نَفْسِهِ لِقَائِهِمْ عَلَاقًا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ فِي كُلِّ نَفْسٍ كَلْبٌ﴾ (الزمر: ١٦)، والظلمات الثلاث هي: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة التي على الطفل، فمن الذي أوصّل إليه هذا التدبير في هذه الظلمات؟ الله ﷻ، بواسطة ذلك الذي يرسله إلى الجنين وهو في بطن أمه، ويأمره ﷻ بأربع كلمات: يكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد، ومن الذي يمدّه في الحياة وهو في هذه الظلمات؟ من الذي يُنْشِئُهُ من الذي يُغْذِيهِ وهو في هذه الظلمات؟ هو الله ﷻ.

[٢] أي: أخرجه من بطن أمه (إلى رَفْقِهِ) إلى رفقه به ﷻ ورائته ورحمته به، حيث سكّر له الأيون وحشتهما عليه وهو لا يملك لنفسه ضرراً ولا نفعاً، فلا يدفع عنها ضرراً ولا يجلب لها رزقاً.

[٣] قَالَ تَعَالَى: ﴿مَا أَرَادَ بِكُمْ مِنْ نَحْسٍ ثُمَّ يَنْقُصُ رِزْقَكُمْ إِنَّ اللَّهَ خَفِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ﴾ (الأنعام: ٥٧، ٥٨).

[٤] قَالَ تَعَالَى: ﴿الْأَرْحَامَ ۚ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ۚ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۚ﴾ (الرحمن: ١ - ٤)، فعلم الإنسان ما لم يعلم.

وَكَانَ قَضَىٰ اللَّهُ عَلَيْهِ عَظِيمًا^(١١)، وَنَبَّهَهُ بِأَنَّهُ مَشْغُوبٌ^(١٢)، وَأَعْلَزَ إِلَيْهِ عَلَىٰ أَلْبَتَةِ الْمُتْرَشِّلِينَ الْخَيْرَةَ مِنْ غُلْفِهِ^(١٣)، فَهَذِي عَنْ وَقْفَةِ بِفَضْلِهِ^(١٤)،

الشرح

[١] قَالَ اللَّهُ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿وَعَلَّكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]، قَالَ هُوَ الْمَعْلُومُ لِلْإِنْسَانِ، وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ بِشُكْرِ اللَّهِ وَيَقُولُ فِي دَعَاةٍ: «لَا أَضْعِي كِتَابَكَ عَلَيْكَ أَتَىٰ كَمَا أَتَيْتَ عَلَىٰ نَبِيِّكَ»^(١٥).

[٢] أَي: نَبِيَّ الْإِنْسَانِ، لِيَسْتَدِلَّ بِآيَاتِهِ الْكُونِيَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، حِينَمَا يَنْظُرُ فِي السَّمَوَاتِ، وَفِي الْأَرْضِ، وَفِي النُّجُومِ، وَفِي الْجِبَالِ، وَفِي الشَّجَرِ، وَفِي الْبَحَارِ وَالْبَرَارِي، وَالْحَيَوَانَاتِ... فَإِنَّ ذَلِكَ يَدُلُّهُ عَلَىٰ عَظِيمِ قُدْرَةِ اللَّهِ ﷻ، الَّذِي أَوْجَدَ هَذِهِ الْمَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةَ... ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ الْبُزْجُ وَالْقَلْبُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الْغَنِيِّ الْخَلِيمِ﴾ [صافات: ٣٧]، فَالآيَاتُ تَقْسَمُ إِلَىٰ قَسَمَيْنِ:

الأول: آيَاتُ كُونِيَّةٍ، وَهِيَ الْمَخْلُوقَاتُ.

الثاني: آيَاتُ الْوَحْيِ، وَمِنْهَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ.

[٣] اللَّهُ لَمْ يَكُنْ هَذَا الْإِنْسَانُ إِلَىٰ عِلْمِهِ وَإِلَىٰ مَا أَعْطَاهُ مِنَ الْإِدْرَاكِ، بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْهِ الرَّسُلَ لِيُبَيِّنَ لَهُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَكَيْفَ يَتَصَرَّفُ عَلَىٰ وَفْقِ مَا شَرَعَهُ اللَّهُ ﷻ، فَالرَّسُلُ نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ ﷻ، وَيَدْعُونَ الرَّسُلَ لَا يَسْطِيعُ الْإِنْسَانُ، وَلَوْ كَانَ فِيهِ مَحَبَّةٌ لِلْخَيْرِ لَكُنْهُ عَاجِزٌ، فَاللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - أَرْسَلَ إِلَيْهِ الرَّسُلَ وَأَنْزَلَ إِلَيْهِ الْكِتَابَ لِيُبَيِّنَ لَهُ كَيْفَ يَعْبُدُ رَبَّهُ، وَهَذَا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ ﷻ، وَعَنَانُهُ بِهِمَا الْإِنْسَانُ، ﴿وَأَرْسَلْنَا نُوحِيًّا وَمُتَوَكِّلًا إِنْ لَمْ يَكُنْ يُشَاقِقِ عَلَىٰ اللَّهِ فَعَلًا يَتَدَارَكُ﴾ [النساء: ١٦٥]، فَطَعِيرُ الْخَلْقِ هُمُ الرَّسُلُ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

[٤] الرَّسُلُ يُبَيِّنُ، وَالْكِتَابُ الْإِلَهِيَّةُ يُبَيِّنُ، وَلَكِنْ هَدَايَةُ التَّوْفِيقِ يَدُ اللَّهِ =

وَنَزَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَارٍ^(١١)، وَفَرَّحَ صُدُورَهُمْ لِلذِّكْرِ^(١٢)، فَأَنشَأُوا بِأَهْلِ
بَابِئِنَّهُمْ نَاطِقِينَ، وَبَقِلُوا بِهِمْ مُخْلِصِينَ، وَبِمَا أَتَتْهُمْ بِهِ رُسُلُهُ وَكُتِبَتْهُ

الشرح

- وقال: ﴿وَنَزَلَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى نَارٍ﴾ وَفَرَّحَ صُدُورَهُمْ كَمَا تُرَى مُنْجِيًا بِهِ أَلَّا مَرُّو وَنَزَلَتْهُمْ فِي مَقْلَبِهِمْ
بَتَمَّوْنَ ﴿١١﴾ (الأنعام: ١١٠)، فالإنسان إذا لم يقبل الحق ابتلاه الله بالباطل،
وإذا لم يقبل الهدى ابتلاه الله بالضلال.

(١) قال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا بِقَرْنٍ^(١)﴾ (الأنعام: ٨)، وقال: ﴿فَلَمَّا مَرَّ أَتَى^(٢)﴾
وَقَالَ بِأَهْلِ^(٣) وَمَلَأَ بِأَهْلِهِ^(٤) فَتَبَيَّنَ بِقَرْنٍ^(٥) (الليل: ٥ - ٧)، فالسبب من عند
العبد، ﴿فَلَمَّا مَرَّ أَتَى بِأَهْلٍ^(٦)﴾ وَمَلَأَ بِأَهْلِهِ^(٧) هذا هو السبب الذي من عند
العبد، ﴿فَتَبَيَّنَ بِقَرْنٍ^(٨)﴾ هذا هو التوفيق من الله، ﴿فَلَمَّا مَرَّ بَقِلَ وَاتَّقَى^(٩)﴾
وَقَالَ بِأَهْلٍ^(١٠)، هذا هو السبب من قبل العبد، ﴿فَتَبَيَّنَ بِقَرْنٍ^(١١)﴾
(الليل: ٨ - ١٠)، هذه هي العقوبة من الله ﷻ، حيث لم يقبل الحق، ولم
يعمل الأسباب التي بها يهديه الله ﷻ، وفي الحديث: «اَضْلَلُوا فَكُلُّ مُسَيِّرٍ إِذَا
عَلِيَ لَهْ^(١٢)».

(٢) فإذا أراد الله للعبد هداية القبول والتوفيق أي: شرح الله صدره
للسبيل الدعوة إلى الله ﷻ، كما قال ﷻ: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَفْرَحْ
بِكَلْبِهِ^(١)﴾ (الأنعام: ١٢٥)، فبتفصيل الحق ويرغب فيه، فيوسع الله صدره
للإسلام، وهذه إرادة كونية، ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ هَذِهِ إِرَادَةُ كَوْنِيَّةٌ، ﴿يَجْعَلُ
صَدْرَهُ سَهْلًا^(٢)﴾ فلا يقبل شيئاً ولا يحب الخير، ويقرر من الخير ويقرر من
أهل الخير ﴿سَهْلًا يَجْعَلُهُ فِي أَلْسِنَتِهِ^(٣)﴾ (الأنعام: ١٢٥) من ضيق الصدر
والعياذ بالله - فهم يتضايقون من الحق، ومن الدعوة إلى الله، ومن قراءة
القرآن ومن الموعظة ومن التذكير لأن الله ضيق صدورهم بسبب إعراضهم
عقوبة لهم وحرماناً لهم من الهداية.

غَابِلِينَ^(١)، وَتَعَلَّمُوا مَا عَلَّمْتَهُمْ^(٢)، وَزَقُّوْا جَنْدَ مَا خَدَّ لَهُمْ^(٣)،
وَاسْتَعْتَوْا بِمَا أَحَلَّ لَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ عَلَيْهِمْ^(٤).

الشرح

[١] هذه نتيجة هداية التوفيق، أنهم نطقوا بالاستتهم بقبول الحق، واعتقدوا بقلوبهم، فلا يكفي النطق باللسان، بل لا بد مع النطق باللسان اعتقاد القلب، وأما نطق اللسان بدون اعتقاد القلب فهذه طريقة المنافقين، وأما المؤمنون فهم يقبلون الحق (بالستهم ناطقين) بأن يقولوا: آمنا بالله، ويقولونه (بقلوبهم مخلصين) فلا بد من النطق باللسان بقبول الحق، ولا بد من الإخلاص في القلب، فلا يكون رياء ولا سمعة، ولا مصانعة ولا نفاق.

فتنطق بلسانك وتصدق بقلبك وتعمل بجوارحك، هذه حقيقة الإيمان خلافاً للمرجة في مذاهبهم الضالة.

[٢] لا بد من تعلم الكتاب والسنة، وفهماها على مراد الله ورسوله، أما من أعرض عن العلم فإنه يحرم من الهداية؛ لأن من أسباب الهداية: تعلم العلم النافع والعمل به، والإقبال عليه، وهو العلم الذي جاء به رسول الله ﷺ، أما المعرض عن تعلم العلم فإنه يحرم الهداية، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَخَذُوا صَبًا أُكُودًا مُتَشَبِهِينَ﴾ [الأحزاب: ٣]، والإعراض عن الحق وعدم الإصغاء إليه وعدم قبوله هو الذي يسبب الضلال والانحراف.

[٣] من صفات أهل السنة والجماعة:

أولاً: أنهم يلقنون عند حدود العلم، فما علموه قالوا به، وما لم يعلموه توفقوا عنه، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقُلْ مَا يَكْفُرُ بِكَ بِهِ﴾ [الاسراء: ١٣٦] أي: لا تتطرح ولا تقل على الله ما لا تعلم، بل قل عند حذك، فما علمته من العلم النافع فتكلم به، وألّط به، وما لم تعلمه توقفت عنه حتى تتعلمه، هذه طريقة أهل الإيمان.

[٤] ثانياً: من صفاتهم أنهم يستغنون بالحلال عن الحرام، وبالطيبات ..

أَنَا بَعْدُ:

أَعَانَا اللَّهُ وَإِيَّاكَ عَلَى رِغَابَةٍ وَقَابِلَةٍ^(١)، وَحَفِظَ مَا أَوْدَعْنَا مِنْ شَرَائِعِهِ.

فَإِنَّكَ سَأَلْتَنِي^(٢) أَنْ أَكْتُبَ لَكَ جُمْلَةً مُقْتَصَرَةً مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ

الشرح

= من الطبائث في مطاعهم وملابسهم ومشاربهم ومناكحهم، فيقتصرون على ما أحلَّ الله لهم ويتجنبون ما حَرَّمَ الله عليهم، قال تعالى في وصف الرسول ﷺ: ﴿وَيُحِبُّ لَهُمُ الْقُرْآنَ وَيُخَرِّجُهُمْ غَيْرَ عَلَيْهِمُ الْقَبِيلَ﴾ [الأعراب: ١٥٧].

[١] الدين وديعة عندك وأمانة عندك، وهو الأوامر والنواهي والحلال والحرام، ودائع وأمانة التمسك الله عليها، وهي الأمانة التي عرضها الله على السموات والأرض والجبال فأبين أن يحملنها وأشفقن منها وحملها الإنسان، فافه عرض هذه الأمانة أي: أمانة التكاليف والأوامر والنواهي؛ عرضها على السموات والأرض والجبال عرض تغيير لا عرض إلزام، فآثرت السلامة على الغيبة، ﴿وَأَقْبَلْنَ مِنْهَا﴾، خفن من تحملها، ﴿وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا كَثِيرًا﴾ [الأعراب: ٧٢]، وآدم وذريته آثروا الغيبة على السلامة لجهل الإنسان، أي: جنى الإنسان وظلمه؛ ولهذا قال في الآية التي بعدها: ﴿لَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْقُسُوفَ وَالنَّجْمَ وَالشَّجَرَةَ الْمُبَارَكَةَ وَبَوَّأْنَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الأعراب: ٧٣]، فبئر الإنسان أمام هذه الأمانة على ثلاثة أقسام:

القسم الأول: من تحملها ظاهراً وباطناً، وهم المؤمنون والمؤمنات.

القسم الثاني: من أبى تحملها ورفضها ظاهراً وباطناً، وهم المشركون والمشركات.

والقسم الثالث: من تحملها ظاهراً وضمَّها باطناً، وهم المتأفقون والمتأفقات.

[٢] يخاطب المؤلف تلميذه الذي يعلمه القرآن، وهذا فيه بيان سبب =

الذَّيَانَةُ بِمَا تُنْطَلِقُ بِهِ الْأَسْنَةُ، وَتَنْتَقِذَةُ الْقُلُوبُ، وَتَعْمَلَةُ الْجَوَارِحِ^(١).

الشرح

« تأليف هذه الرسالة ومقدمتها، فالرسالة في فقه مذهب الإمام مالك، والمقدمة في بيان العقيدة الصحيحة، فهو يذكر أن سبب تأليفه: أن مدرّسه لما رأى من نجاحه وذكائه وإمامه بمذهب الإمام مالك: طلب منه أن يؤلف مختصراً في الفقه على مذهب الإمام مالك؛ ليلقته للطلاب الذين يدرسون عنده؛ لأجل أن يجمعوا بين حفظ القرآن، وحفظ العقيدة والفقه في الدين، وهكذا كانت طريقة السلف الصالح أنهم يلقنون الأولاد من الصغر، ويعلمونهم العقيدة والفقه حتى ينشؤوا على ذلك؛ لأن الصغير أحفظ لما يُلقى إليه أكثر من الكبير، فالكبير ينسى، أما الصغير فإنه ينطش العلم في ذهنه؛ ولهذا يقولون: العلم في الصغر كالنقش في الحجر، فهم يحرصون على تعليم الصغار؛ لأجل أن يترسخ ذلك في أذهانهم ويثبت فيها وينشؤوا عليه، وهكذا ينبغي للمسلمين في عموم الأوقات أن يحتسبوا بصغارهم ويلقنهم العقيدة والفقه؛ بخلاف ما ينادي به الثريويون الغريبيون اليوم من قولهم: إن الصغار لا يُذكر لهم شيء من أمور الدين؛ لأنهم لا يتحملون ذلك، فهذه مكيدة لأجل أن ينشأ أولاد المسلمين على الجهل بدينهم وعقيدتهم؛ فينبغي التنبيه لهذا، وكان المسلمون إلى عهد قريب في المدارس الابتدائية يقررون فيها المختصرات في الفنون ويحفظها الطلاب الصغار، وتُشرح لهم، إلى أن جاءت الترية الحديثة وتولى الثغريون التعليم، فمسحوا مناهج التعليم وجعلوها اسماً بلا معنى، مُفَرِّغَةً من مضمونها، فندمهم اسم العقيدة، واسم الحديث، واسم الفقه، أسماء مجرّدة، وليس فيها شيء، فهذا من الغش في تعليم أولاد المسلمين حتى ينشؤوا جهلة بدينهم وعقيدتهم.

(١) العقيدة ثلاثة أركان: قول باللسان، واعتقاد بالقلب، وعمل بالجوارح، لا يكفي واحد منها أو اثنان فقط، بل لا بد من هذه الثلاثة.

وقد أجمل المؤلف ما تشتمل عليه هذه الرسالة ومقدمتها من بيان العقيدة =

وَمَا يُتَّصِلُ بِالْوَاجِبِ مِنْ ذَلِكَ^(١) مِنَ الشَّيْءِ^(٢)

الشَّرح

« وأقسام العبادات من واجبات ومستحبات وأداب عامة وأصول الفقه، لينشأ الصبيان على معرفة الإيمان وحقيقتها على شكل (جملة مختصرة) فينبغي أن يُلقن الصغار المحتون المختصرة؛ لأنها مدخل إلى العلوم، فهي الأصول؛ ولهذا يقولون: من حُرِّم الأصول حُرِّم الوصول، والأصول هي: المختصرات من حرم منها حُرِّم الوصول إلى العلم النافع، فالمبتدئ صغيراً كان أو كبيراً لا يُبتدأ له بالمجاميع الكبار من مجاميع العلم، فيقرأ في البخاري وفي مسلم وفي المعني وفي كتاب سيويه، بل المبتدئ يُتدرج معه في العلم شيئاً فشيئاً، أما أن تأتيه بالمطولات والمفصلات فهذا نعب بلا فائدة، ولا يأخذ من العلم شيئاً، لأنه يسير على غير طريق التربية الصحيحة وأبني العلم من غير بابه، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَٰهِيمَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَكِنَّ آلَ إِبْرَٰهِيمَ كَانُوا لَشَيْئاً غَافِلِينَ﴾ (البقرة: ١٢٩).

فالمبتدئون يُلقنون الواجبات فقط، ولا يؤتى لهم بالتفريعات والتفصيلات، وإنما يلقنون الواجب من أمور دينهم؛ فإذا ما تجاوزوا مرحلة البداية فإنه يُتوسَّع معهم في التعليم، وهو ما يسمى بالتخصص، فيبين لهم الأقوال والأدلة والترجيحات، بعدما يدخلون من باب العلم ويحصلون على المبادئ، فيُتدرج معهم شيئاً فشيئاً من الكتب المختصرة، إلى الكتب المتوسطة، إلى الكتب المطولة، هكذا يكون تعليم العلم، وهذه طريقة التربية الصحيحة.

(١) الطاعات تنقسم إلى: واجبات، ومستحبات.

(٢) الشَّيْءُ إذا أطلقت يراد بها: ما ثبت عن الرسول ﷺ من عقيدة وعبادة، ونطلق العقيدة ويقال لكتبتها كتب الشَّيْء؛ ككتاب (الشَّيْء) لعبد الله ابن الإمام أحمد، وكتاب (الشَّيْء) لابن أبي عاصم، وكذلك تسمى كتب الإيمان، مثل كتاب (الإيمان) لابن منده وغيره.

مِنْ مُؤَكِّدًا وَتَوَافُلَهَا وَزَعَمَاتِهَا^(١١)، وَشَيْءٌ مِنَ الْأَدَابِ مِنْهَا^(١٢)، وَجُمْلٍ
مِنْ أَصُولِ الْفِقْهِ وَقَوْنِهِ^(١٣) عَلَى مَذْهَبِ الْإِمَامِ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ رَحِمَهُ اللَّهُ
تَعَالَى^(١٤) وَطَرِيقَتِهِ^(١٥).

الشرح

وأما الشُّعْثَةُ في اصطلاح المُخَدَّثِينَ: فهي ما ورد عن الرسول ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة.

[١] السنن بهذا المعنى العام تختلف، منها ما هو واجب ومنها ما هو مستحب، والمستحب منه ما هو مؤكد، ومنه ما هو دون ذلك، مثل الرواتب التي مع الفرائض، ومثل صلاة الوتر، وصلاة الفجر، وسنن مقيدة بأوقات مثل دخول المسجد، وصلاة الفجر، وسنن مطلقة في جميع الأوقات ما عدا أوقات النهي.

[٢] أي: من الشُّعْثَةُ ما هو من الآداب العامة.

[٣] المراد بأصول الفقه: قواعد الاستنباط من الأدلة، وبيان الأحكام من الحلال والحرام والواجب، والمستحب، والمكروه، والمباح.

وأما قواعد الاستنباط من الأدلة: فالأمر للمرجوح، أو الاستحباب، أو الإباحة، والنهي يكون للتحريم، أو للكرهية.

[٤] مالك بن أنس عالم المدينة، وإمام دار الهجرة، ومذهب أحد المذاهب الأربعة، والمؤلف مالكي المذهب، ولذلك جعل هذه الرسالة على مذهب المالكية، هذا من جهة الفقه، وأما العقيدة فعقيدة الأئمة الأربعة واحدة هي عقيدة السلف لا اختلاف بينهم فيها.

ومذهب الإمام مالك بن أنس انتشر في المغرب والأندلس، وأفريقيا، وهو مذهب أهل المدينة.

[٥] هذا ليس تحيزاً للإمام مالك كَثُلَتْ دُونُ غَيْرِهِ مِنَ الْأَئِمَّةِ، وَلَكِنْ لِأَنَّ أَهْلَ الْمَغْرِبِ - وَالْمُؤَلِّفَ مِنْهُمْ - وَهُمْ عَلَى مَذْهَبِ مَالِكٍ، نَاسِبٌ أَنْ يَبَيِّنَ -

مَعَ مَا سَهَّلَ سَبِيلَ مَا أَشْكَلَ مِنْ ذَلِكَ مِنْ تَفْسِيرِ الرَّاسِخِينَ وَبَيَانِ
الْمُتَعَفِّهِينَ^(١)، لِمَا رَجِئْتُ فِيهِ^(٢) مِنْ تَعْلِيمِ ذَلِكَ لِلْوِلْدَانِ كَمَا تَعَلَّمْتُمْ
حُرُوفَ الْقُرْآنِ^(٣)، لِيَسْبِقَ إِلَى قُلُوبِهِمْ مِنْ لَهْمِ دِينِ اللَّهِ وَشَرَائِعِهِ^(٤)

الشرح

« لهم مذهب مالك في العقيدة وغيرها على مذهب مالك.

[١] هذا المختصر سهل، ليس فيه تعقيد يصعب على الصغار وطلاب
العلم فهمه، بل يكون ميسراً وواضحاً، وهكذا طريقة أهل العلم السابقين،
تجد مؤلفاتهم سهلة، فالعلم يجب أن يُسهل بيانه ولا يُعقد على طلبة العلم
مهما أمكن ذلك.

[٢] يخاطب مُعَلِّمَهُ، بأنه أجاب طلبه في تأليف هذه الرسالة ومقدمتها،
فقد طلب منه أن يؤلف هذا المختصر ليلقنه للولدان الصغار الذين يدرّسهم
القرآن، فيكون تعليمهم شاملاً للقرآن واللغة، وهذا من أحسن طرق التعليم،
أن تُراعى فيه المدارك بالتدرج بالمتعلم من صغار المسائل ومبادئ العلوم
ومختصراتها.

[٣] فكما أنهم يعلِّمون القرآن يعلِّمون اللغة، ليجمع بين تعليم القرآن
وتعليم اللغة والعقيدة، هذا أحسن طرق التعليم وأتم طرق التربية.

[٤] أي: : ليفهموا دين الله وهم صغار، فلا يقال: اصبروا عليهم حتى
يكبروا، فينتهي أن يُستغل وقتهم وسُلوهم وتركز فيهم أمور الدين، وأمر العقيدة
والفقه، أما إذا كبروا: انشغلوا وانصرفوا عن تعلم العلم، فالصغير ليس مثل
الكبير، الصغير أقل للتعليم، والرسول ﷺ كان يعلم الصغار كما يعلم الكبار،
يقول لعبد الله بن عباس - وكان طفلاً صغيراً -: «مَا عَلَّمْتُ إِيَّيْكَ تَحْلِيَتَ،
أَحْفَظُ اللَّهَ بِحَقِّكَ، أَحْفَظُ اللَّهَ نَجْدَةً نَجَاتِكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللَّهَ، وَإِذَا اسْتَفْتَيْتَ
فاسْتَفْتِ اللَّهَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ لَقَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ، وَلَمْ يَجْتَمِعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ -

مَا تُرْجَى لَهُمْ بَرَكَةُ وَتُحْمَدُ لَهُمْ عَاقِبَةُ^(١)، فَأَجَبْتُكَ إِلَى ذَلِكَ، لِمَا رَجَوْتُهُ لِنَفْسِي. وَلَكَ مِنْ ثَوَابٍ مَنْ عِلْمٍ دُونَ اللَّهِ أَوْ ذَهَابٍ إِلَيْهِ^(٢).

وَأَعْلَمُ أَنَّ خَيْرَ الْقُلُوبِ أَوْعَاظُ الْخَيْرِ^(٣)،

الشرح

= إِنْ يَشَاءُ قَدْ كَتَبْتُ إِلَيْكَ، وَفَعَلْتُ الْخَيْرَ^(١)، وَكُنَّا قَالِ لِعَمْرِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ وَكَانَ رِبِيًّا عِنْدَهُ عِنْدَمَا جَلَسَ لِأَكْلِ كَانَتْ يَدُهُ تَطِيرُ فِي الصُّخْرِ فَقَالَ لَهُ: «يَا حُلَامُ سَمِ اللَّهَ وَكُلْ بِبَيْتِكَ وَكُلْ مَعًا بِبَيْتِكَ»^(٢)، يَعْلَمُهُ آدَابُ الْأَكْلِ: أَنْ يَسْمِيَ اللَّهَ، وَيَأْكُلَ بِبَيْتِهِ، وَيَأْكُلَ مَعًا إِلَيْهِ لَا مَعًا بِلِي غَيْرِهِ مِمَّنْ بِجَانِبِهِ، فَيَعْلَمُ الْأَطْفَالُ: لِأَنَّهُمْ أَقْبَلُ لِلتَّعْلِيمِ مِنَ الْكِبَارِ.

[١] وَلَأَنَّهُمْ إِذَا تَعَلَّمُوا وَهُمْ صِفَارُ صَارَ الْعِلْمُ مِلْرَكًا عَلَيْهِمْ، وَآثَرُ فِيهِمْ أَكْثَرَ مِنَ الْكِبَارِ؛ لِأَنَّهُ نَشَأَ مَعَهُمْ وَانْفَرَسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَأَفْعَانَهُمْ؛ وَلِذَلِكَ تَجَدُّ الْأَوْلَادُ الَّذِينَ يُنْشَرُونَ عَلَى الصَّلَاةِ وَعَلَى مَعْرِفَةِ أَحْكَامِ عَقِيدَتِهِمْ وَدِينِهِمْ تَجِدُهُمْ أَحْسَنَ الشَّبَابِ إِذَا كَبُرُوا. وَلَكِنْ إِذَا تَرَكُوا وَاهْمَلُوا صَعِبَتْ عَلَى وَالِدِهِمْ تَرْبِيَتُهُمْ؛ كَمَا قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنْ الْفُصُونَ إِذَا عَدَلَتْهَا اعْتَدَلَتْ وَلَا تَلِينُ إِذَا كَانَتْ مِنَ الْخَشَبِ

فَيَادِرُ الطُّفْلَ وَهُوَ غَضٌّ، لِيُمْكِنَ تَعْدِيلُهُ، أَمَّا إِذَا كَبُرَ فَلَا تَلِينُ أَنْ تَعْدِلَهُ.

[٢] يَقُولُ لِشَيْخِهِ وَمُعَلِّمِهِ أَجَبْتُكَ إِلَى مَا طَلَبْتَ وَأَلْفَتَ هَذِهِ الرِّسَالَةَ وَمُقَدِّمَتَهَا، وَجَاءَ الثَّوَابُ مِنَ اللَّهِ لِي وَلَكَ؛ لِأَنَّ مَنْ دَلَّ عَلَى الْخَيْرِ فَهُوَ كِفَاعُهُ، وَتُعَلِّمُهُ يَشْرِكُ مَعَهُ فِي الثَّوَابِ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الَّذِي عَلَّمَهُ فَالْكَ وَوَجَّهَهُ إِلَيْهِ.

[٣] الْقُلُوبُ الَّتِي تُنْشِئُ لِلتَّعْلِيمِ النَّافِعِ هِيَ خَيْرُ الْقُلُوبِ، أَمَّا الْقُلُوبُ

الْقَاسِي، وَالْقُلُوبُ الَّتِي لَا يَقْبَلُ التَّعْلِيمَ فَهَذَا مَحْرُومٌ.

وَأَرْجَى الْقُلُوبَ لِلْخَيْرِ مَا لَمْ يَسْبِقِ الشَّرُّ إِلَيْهِ^(١)، وَأَوَّلَى مَا غَنَى بِهِ النَّاصِحُونَ
وَزَيَّنَ فِي آخِرِهِ الرَّاجِعُونَ بِضَالِ الْخَيْرِ إِلَى قُلُوبِ أَوْلَادِ الْمُؤْمِنِينَ^(٢)،

الشرح

[١] أي: أرجى القلوب للخير ما كان خالياً من الشر الذي لم يوجه
توجيهاً سلباً، وفي وقتنا الحاضر الذي لم يشغل بهذه المتحدثات، وهذه
الآليات التي تجلب الشر من الإقاعات والتلفزيون والإنترنت، وغير ذلك من
البلاء الذي افتتح على الناس وصار بيد الطفل والطفلة، وبيد كل أحد، فهذه
وسائل شر، سبقت إلى قلوب الشباب ولا يمكن بعد ذلك صرف الشباب
عنها، ولكن لو شمت منها في الأول صارت قلوبهم قابلة للخير غالية من
الشر، فيجب ملؤها بالخير وإبعادها عن الشر. قال الشاعر:

عرفت هواها قبل أن أعرف الهوى فصادف قلباً خالياً فتمسكتنا

فيجب التنبه لهذه الأمور، والمصيبة أن يسبق الشر إلى القلب فيصعب
انتزاعه من القلب، فاحفظ أولادك واحفظ طلابك من وسائل الشر وما أكثرها
اليوم، وما أقل وسائل الخير؛ فالخطر شديد الآن على شباب وشابات
المسلمين؛ لأن وسائل الشر قد انتشرت وصارت بأعينهم.

[٢] أولى ما يعمل الناصحون والمعلمون والدعاة إلى الله: أن يعتنوا
بشباب المسلمين ويوجهوهم الوجهة السليمة ويبعدوا عنهم المشاحنات
والحزنيات ومدح فلان وذم فلان، فيبعدون عنهم هذه الأمور التي شغلت أكثر
الشباب اليوم، ماذا تقول في فلان؟ وهل أنت من تلاميذ فلان؟ هذا شغلهم
الآن، وهذا لا يصلح يا عباد الله، فيجب أن يُخلص المعلمون في تعليم
طلابهم ويبعدوهم عن هذه المشاحنات والفتن والاختلافات، ويلزموهم طريقاً
واحدة وهو طريق أهل العلم، وطريق السلف الصالح وينشؤهم عليه، هذا هو
الواجب على المعلم الذي يعلم التعليم النافع، أما الذي يعلم الطلاب هذه
الأمور؛ فهذا يفتنهم وما أكثر من يقومون بهذا في المدارس وفي غيرها، نجد
هشهم: ماذا تقول في فلان، احذر من فلان، لا تجلس مع فلان، ويترك شرح -

لِيَرْسَخَ فِيهَا^(١)، وَتَلْبِيهِهُمْ عَلَى تَغَالِمِ الدِّينَانَةِ وَخُدُودِ الشَّرِيعَةِ؛ لِيَرِضُوا عَلَيْهَا^(٢)، وَمَا عَلَيْهِمْ أَنْ تَعْتَقِدَهُ مِنَ الدِّينِ قُلُوبُهُمْ^(٣).....

التشريح

«المقرر الموكول إليه شرحه ليعرف الطالب الطريق الصحيح من غيره وفلكت: (بإيصال الخير إلى قلوب أولاد المؤمنين) هكذا يجب أن يكون المعلم والداعية إلى الله؛ يكون قصده إيصال الخير إلى قلوب المؤمنين وأبناء المسلمين، ولا يشغلهم بالخلافات مما هو منتشر اليوم في شباب المسلمين ولا حول ولا قوة إلا بالله، فيجب الاهتمام بأولاد المؤمنين الصغار، بأن يوجهوا الوجهة السليمة، الوجهة الواحدة وجهة الكتاب والسنة وما عليه سلف الأمة.

[١] الصغار يرسخ العلم في قلوبهم، وهذا شيء مجرب، فما تعلمناه في الصغر نتذكره الآن، وما نقرؤه الآن يظهر بسرعة ولا يستغرق لأن الكبير ليس كالصغير.

[٢] فطرق الديانة الصحيحة ما كان على الكتاب والسنة، لأن الديانات كثيرة؛ ولكن الديانة الصحيحة هي ما كانت على الكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة، فيرسخ هذا في قلوبهم، وتحفظهم هذه الأصول لينشؤوا عليها، ويسيروا عليها إذا كبروا.

فتراض النفوس على الخير، كما تراض الأبدان؛ بأنواع الرياضة والمشي وغير ذلك.

[٣] أي: يعلم الصغار ما يجب عليهم أن تعتقده قلوبهم من عقيدة أهل السنة والجماعة المبنية على كتاب الله، وسنة رسوله، لا من قول فلان وفلان وعلم المنطق وعلم الكلام والهديان، بل التعليم يكون من كتاب الله ومن سنة رسول الله ﷺ، وهذا سهل يؤمن الله، وفيه نور وبركة وغير، أما علم المنطق وعلم الكلام والجدل فهذا يظلم القلوب، والذين تخصصوا فيه لم يحصلوا على خير، بل إنهم في آخر حياتهم تمنوا أنهم لم يشتغلوا فيه،

وَتَشْمَلُ بِهِ جَوَارِحُهُمْ^(١)، قِيَّاتُهُ زُوي^(٢) أَنْ تَغْلِيْمَ الصُّغَارِ
لِكِتَابِ اللَّهِ يُظْفَرُ غَضِبَ اللَّهِ، وَأَنْ تَغْلِيْمَ الشَّيْءِ فِي الصُّغَرِ ثَالِثُ فِي
الْخَبَرِ.

وَقَدْ مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ - بِحِفْظِهِ^(٣)،
وَيَسْعُدُونَ بِإِحْقَاقِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ.

الشرح

= وأنهم أخذوا بعلم السلف، كما ذكر هذا في سيرهم وتاريخهم.

[١] العمل: عمل القلوب أولاً، ثم عمل الجوارح، فالعمل على
قسمين: عمل القلوب من خشية الله، والخوف منه، والرغبة إليه، ومحبة الله،
وعمل الجوارح تابع لعمل القلوب؛ كالصلاة والصيام والحج والجهاد.

[٢] قوله: (قِيَّاتُهُ زُوي) أي: عن الرسول ﷺ (أَنْ تَغْلِيْمَ الصُّغَارِ
لِكِتَابِ اللَّهِ يُظْفَرُ غَضِبَ اللَّهِ)^(٤) وكلمة (زوي) تدل على التضعيف فهو حديث
ضعيف لكن معناه صحيح؛ فانه يرضى أن تعلم صغارنا القرآن. وهذه
المقدمة تربوية، تتضمن قواعد التربية الصحيحة لا التربية الغربية التي يتادي بها
العلمانيون الآن.

[٣] يقول لشيخه: (وقد مَثَلْتُ لَكَ مِنْ ذَلِكَ مَا يَنْتَفِعُونَ - إِنْ شَاءَ اللَّهُ -
بِحِفْظِهِ) يعني: ذكرت في هذه الرسالة وفي مقدمتها ما إذا حفظه الطلاب
وقهروا فإنهم ينتفعون به، وينالون به شرف العلم والعمل والسعادة إذا اعتقدوه
وعملوا بموجبه بخلاف كتب العقائد الفارغة من بيان اعتقاد السلف؛ كعقائد
المتكلمين المتكلمين.

(١) لم أجده في كتب الشُّلَّةِ المعتمدة ومصادرها، وهو في مستند الترمذ (٢٤)، وهذا
المستند فيه ما فيه، ولا يخفى كلام أهل العلم عنه، والمؤلف هنا ثقة ساه به صحة
(روى)، فكانه لم يثبت عنه.

وَقَدْ جَاءَ أَنْ يُؤْمَرُوا بِالصَّلَاةِ لِسَبْعِ سِنِينَ^(١)، وَيُضْرَبُوا عَلَيْهَا
بِعَشْرِ، وَيُفْرَقَ بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ، فَكَذَلِكَ يُنَبِّهِي أَنْ يَعْلَمُوا مَا
فَرَضَ اللَّهُ عَلَى الْعِبَادِ^(٢)

التشريح

[١] قَالَ ﷺ: «مُرُوا الْوِلْدَانَ خُمَ» أي: الصغار، مجرد أمر، «بِالصَّلَاةِ وَخُمَ
أَيْنَاهُ سَبْعَ سِنِينَ» لأن ابن سبع سنين وعرف، «فَوَضِعُوا يَدَهُمَا عَلَيْهَا وَخُمَ أَيْنَاهُ عَشْرَ
سِنِينَ» أي: إذا تكاملوا عنها وهم في سن العاشرة؛ لأنه حيثما إما مراقب وإما قد
بلغ الحلم فيضرب عليها، أما الطفل الصغير إذا ترك الصلاة فلا يضرب لأنها لا
تجب عليه، ولكن يُرَبَّى عليها، ثم قال: «فَوَفِّرُوا بَيْنَهُمْ فِي الْمَضَاجِعِ»^(١) أي: فلا
تتركوهم بنام بعضهم إلى جنب بعض، خشية الافتتان وحبس الشهوة بينهم
والشيطان يزين لهم ذلك، ذكوراً وإناثاً، فالذكور مع الذكور لا يتركون بنام
بعضهم إلى جانب بعض، فلا تترك البنت تنام مع الذكر ولا الذكر مع البنت
مباشرة، فيُفْرَقَ بينهم في المضاجع؛ خشية الفتنة، فالأولاد يلاحظون ولا يهتمون.

فهذه ثلاث مسائل مهمة:

١ - يؤمرون بالصلاة، مجرد أمر لأجل أن يعتادوها، وتكون لهم نافعة،
وإذا تركوها لا يضربون؛ لأنهم لم يتركوا واجباً في حقهم، ومن لازم أمرهم
بالصلاة أمرهم بالوضوء وتعليمهم إياه.

٢ - إذا بلغوا العشر فإنهم يضربون على تركها؛ لأنهم إما أن يكونوا قد
بلغوا أو يكونوا قاربوا البلوغ، فيعاقبون إذا تركوا الواجب.

٣ - وإذا بلغوا العشر أيضاً يخشى عليهم من الشهوة، فيُفْرَقَ بينهم في
المضاجع، وهذا من أدلة منع الاختلاط بين الذكور والإناث.

[٢] يعني: لا يقتصر على أمرهم بالصلاة، وعلى التفريق بينهم في «

مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ قَبْلَ بُلُوغِهِمْ، لِأَنَّهُمْ عَلَيْهِمُ الْبُلُوغُ وَقَدْ تَمَكَّنَ ذَلِكَ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَتَحَكَّتْ إِلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ، وَأَبَسَتْ بِمَا يَفْعَلُونَ بِهِ مِنْ ذَلِكَ جَوَارِحُهُمْ^(١).

وَقَدْ فَرَضَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى الْقَلْبِ عَمَلًا^(٢) مِنْ

الشرح

= المضاجع وضرب من ترك الواجب منهم، بل يعملون أيضاً بقية أمور الدين من الحلال والحرام والأخلاق الطيبة والأخلاق السيئة، بطريقة مختصرة، فيعطون نعاقد من أمور الدين، والآداب والأخلاق، فينبهون عن القول المحرم وعن الشتم والسيب، والغيبة والنميمة، وكذلك عن الفعل المحرم، كالسرقة وأخذ أموال الناس والخيانة، فيربون على الاستقامة في دينهم وديارهم وأخلاقهم ونعامهم مع الناس.

[١] هذه النتيجة من تربية الذين دون البلوغ، أنهم إذا بلغوا وهم قد رُتُّوا على هذه الفضائل؛ سَهِّلَ قِيَادَهُمْ واستمروا على هذه المعلومات القيمة، ونعت عندهم وزادت؛ لأنهم مثل الفرس، فالفرس ينمو شيئاً فشيئاً ويكبر ويشر شيئاً بعد.

هذه هي التربية الصحيحة، فمن تأخذ أصول تربيتنا من ديننا؛ لا تأخذها من الغرب ومن تربية الغرب؛ لأنها لا خير فيها.

[٢] فقد فرض الله ﷻ على اللسان الأدكار الشرعية وتلاوة القرآن، فهذا عمل اللسان، وفرض على القلب العمل أيضاً، فالقلب له عمل وهو خشية الله ومحبة والتوكل عليه، والإنابة إليه، فهذه أعمال قلبية، وكذلك فرض على الجوارح - وهي الأعضاء - أعمالاً تؤدِّيها، وهي الأعمال الظاهرة من الركوع والسجود والجهاد في سبيل الله.

عمل القلب: الاعتقادات، وهي الإيمان بالله ﷻ، والخوف، والخشية، والرغبة، والرغبة، والرجاء، والمحبة، إلى غير ذلك.

الِإِعْطَافَاتِ، وَعَلَى الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ غَضًّا مِنَ الطَّاعَاتِ^(١).

وَسَأَصِلُ لَكَ^(٢) مَا شَرَعْتَ لَكَ ذِكْرَهُ بَاباً بَاباً، لِيَقْرُبَ مِنْ فَهْمِ مُتَعَلِّمِيهِ، إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، وَبِئَاءَ تَشْجِيرٍ، وَبِئَ تَشْتِمِينَ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا^(٣).

الشَّحْ

[١] الشيخ كتَّبه لم يذكر أعمال اللسان من الأذكار؛ لأنها داخلية في أعمال الجوارح؛ لأن اللسان جارية من الجوارح، فهذه الأعضاء تُكسب صاحبها إما خيراً، وإما شراً؛ فلذلك سميت الجوارح، من الاجترار وهو الاكتساب، قال تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ الْيَزِيدُ أَخْلَقُوا النَّفْسَ﴾ (الحج: ٢١)، فعمل الجوارح هو ما يظهر من حركاتها ومساكناتها وتصرفاتها؛ إما في الخير وإما في الشر، فالإنسان إما تأمله كله تجده يشغل ظاهراً وباطناً؛ لا يبقى شيء منه معطلاً، وعمله راجع إليه، إن كان صالحاً رجع عليه بالخير، وإن كان سيئاً رجع عليه بالخسارة.

[٢] يخاطب معلِّمه ومدرِّسه الذي طلب منه أن يؤلف هذه الرسالة بتقدمها التابعة المفيدة.

[٣] يذكر أن تقسيم الكتاب إلى أبواب مما يعين المتعلم والقارئ على فهمه شيئاً فشيئاً؛ لأنه لو سُرد من دون تبويب لشق ذلك على من يراجع، ثم طلب من الله الخيرة والإعانة وتبرأ من الحول والقوة، ونسب ذلك إلى الله ﷻ، وختم بالصلاة والسلام على النبي محمد وعلى آله وصحبه الكرام، ثم دخل في التفاصيل فقال:

بَابُ مَا تَنْطِقُ بِهِ الْأَلْسِنَةُ وَتَعْتَقِدُهُ الْأَقْدِيدَةُ^(١) مِنْ وَاجِبِ أُمُورِ الدِّيَانَاتِ

مِنْ ذَلِكَ: الْإِيمَانُ بِالْقَلْبِ وَالْعَقْلُ بِاللِّسَانِ^(٢) أَنَّ اللَّهَ إِلَهٌ وَاحِدٌ
لَا إِلَهَ غَيْرُهُ^(٣).

الشرح

[١] لأنه لا بد من النطق بالحق مع اعتقاده بالقلب؛ لأنه ليس المقصود
النطق باللسان فقط، بل لا بد مع النطق من الاعتقاد، كما لا يكفي الاعتقاد
بدون نطق، بل لا بد من الأمرين.

[٢] فإذا قلت: (لا إله إلا الله) فقد نطقت بها بلسانك، ولكن لا بد
أن تعتقد معناها ومدلولها في قلبك، ولا بد أن تعمل بمقتضاها في
جوارحك، فهي ليست كلمة تُقال باللسان فقط، وإنما هي كلمة عظيمة لها
مقتضى، ولها معنى، فلا بد أن تعرف هذا، فلا (إله إلا الله) كلمة عظيمة
هي عنوان الإسلام، وعنوان الإيمان، فهي كلمة تحتاج إلى عناية، وتحتاج
إلى فهم.

[٣] (الإله هو المألوه): المعبود بحق أو باطل، فالمعبود يُسمى إلهاً،
والمعبود بحق هو الله ﷻ وحده، وكل ما سوى الله من الآلهة من الأصنام
والأشجار والأحجار والقبور آلهة باطلة؛ ولهذا تُفسر (لا إله إلا الله) بأنها:
لا معبود بحق إلا الله، ولا يكفي أن تقول معناها: لا معبود إلا الله، فهذا
باطل؛ لأنه يدخل فيه المعبودات كلها تكون هي الله، وهذا مذنب أهل وحدة
الوجود الذين يقولون: كل معبود وكل صنم هو الله، تعالى الله عما يقولون،
فلا بد أن نقيد: فيقال: لا معبود حق إلا الله، أو لا معبود بحق إلا الله ﷻ، =

وَلَا شَيْبَةَ لَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ^(١٢)، وَلَا وَلَدَ لَهُ، وَلَا زَالَ لَهُ^(١٣).

الشرح

= ليمخرج المعبود بالباطل، قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَكَ إِلَهٌ مَوْقَعُ الْقَوْلِ ذَلِكَ مَا كُنْتُمْ مِنْكُمْ مَوْقَعُ الْقَوْلِ﴾ (الصحح: ١٢)، فإله واحد، (لا إله غيره) يعني: لا إله حق إلا هو، وما سواه فهي آلهة باطلة، فأنت إذا قلت: (لا إله إلا الله) أثبت حقيقة عبادة الله وأبطلت عبادة غيره بهذه الكلمة، فهي كلمة تجمع بين النفي والإثبات: نفي العبادة عما سوى الله، وإثباتها لله وحده لا شريك له.

[١٢] كما أن الله - جلّ وعلا - لا معبود بحق إلا هو، وما عُبد من دونه فهو باطل، وذلك أنه لا شبه له ولا نظير له، ليمقاس به أو يسوّى به فيعبد معه، قال - جلّ وعلا -: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ (الشورى: ١١)، وقال: ﴿وَلَا تُقْبِرُوا بِحُجُومِ الْإِنْسَانِ﴾ (النحل: ٧٦)، فتشبهونه بغيره، وقال: ﴿فَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّهُ سَيِّئٌ﴾ (سرم: ٦٥)، والسمي هو المشابه له أي: لا شبه له ولا تعلم من يستحق العبادة سواء.

[١٣] كما قال - جلّ وعلا -: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ (الإخلاص: ٣) يعني: ليس له بداية وليس له نهاية، وليس له شبيه من خلقه لأن الولد شبيه بالوالد وجزء منه، قال تعالى: ﴿وَتَقَعْلُوا لَهُ مِنْ حُكْمِهِمْ جَزَاءً﴾ (الزمر: ١٥) يعني: ولدًا، فالولد جزء من الوالد، وهذا فيه الرد على النصارى الذين قالوا: المسيح ابن الله، تعالى الله عما يقولون، ورد على المشركين من العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله، فالذين أثبتوا الولد لله نوحان:

- النصارى أثبتوا له الابن.

- المشركون أثبتوا له البنات.

والله - جلّ وعلا - رد على الفتنين: ﴿لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ﴾ (٣) والإخلاص: ٣)، فإله ليس له ولد، لأنه ليس بحاجة إلى الولد، ولأن الولد يشبه الوالد وهو جزء منه، والله ليس له جزء مخلوق ولا شبيه، تعالى الله =

وَلَا حَاجَةَ لَهُ^(١٩)، وَلَا شَرِيكَ لَهُ^(٢٠).

لَيْسَ لِأَوْلِيِّهِ نِيَّةٌ، وَلَا لِأَعْرَبِيهِ انْقِضَاءٌ^(٢١)، وَلَا يَنْتَلِعُ كُنْهَ صِفَتِهِ الْوَاجِبُونَ^(٢٢).

الشرح

= عن ذلك، والولد شريك للوالد، والله - جلّ وعلا - لا شريك له في ربوبيته والوحيه وأسمائه وصفاته، فهو مُتَرَكٌّ عن الوالد والولد.

[١٩] يعني: ليس له زوجة، فكيف يكون له ولد وهو ليس له زوجة، ﴿لَا يَنْتَلِعُ كُنْهَ صِفَتِهِ﴾ (الأنعام: ١٠١)، فهو ليس بحاجة إلى المخلوقين، ليس بحاجة إلى الزوجة، وليس بحاجة إلى الولد وليس بحاجة إلى خلقه مطلقاً، لأنه الغني وهم الفقراء المحتاجون إليه.

[٢٠] هذا عام، يعني: ليس له شريك بأي نوع من أنواع الشراكة، فليس له شريك شراكة ولد، أو شراكة زوجة، ولا شريك له في أسمائه وصفاته لا أحد يشابهه ويضاهيه ﷻ، فلا شريك له: لا في ذاته، ولا في أسمائه وصفاته، ولا في عبادته.

[٢١] كما قال - جلّ وعلا -: ﴿مَنْ أَوْلَى الْأَوَّلِ وَالْآخِرِ﴾ (الحديد: ٢)، وقال النبي ﷺ: «أَنْتَ الْأَوَّلُ فَلَيْسَ قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ» يعني: المتعالي على خلقه ﷻ، الظاهر فوق عباده، «وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ»^(١). فلا أحد يخفى عليه ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ﴾ وَلَا يَنْتَلِعُ كُنْهَ صِفَتِهِ ﷻ (آل عمران: ٥).

[٢٢] يعني: لا أحد يعرف كيفية صفات الله، وأما معانيها فهو معلوم، فلا يُكَيِّفُ كلامه، ولا يكيف سمعه ولا بصره، وكلها جميع صفاته، فنحن نؤمن بها، ونشبهها ولكن لا نعلم كيفيةها، وحقيقتها، فالأسماء والصفات =

وَلَا يُحِيطُ بِأَمْرِ الْمُتَفَكِّرُونَ^(١)، يَتَفَكَّرُونَ بِآيَاتِهِ^(٢).

الشرح

= معلومة المعنى، ولكن كيفيتها لا يعلمها إلا الله ﷻ، فلا تقل: كيف استوى؟
فالكيفية لا تعلمها، ولهذا لما سأل رجل الإمام مالكاً كَيْفَهُ فَقَالَ لَهُ: ﴿الْإِخْرَاجُ
عَلَى الْقَرْنِ أَتَمُّهُ﴾^(٣)، أى: كيف استوى؟ فأطرق الإمام مالك رأسه
حتى علاه العرق من الخوف من الله ﷻ، لأن هذا سؤال لا يليق بالله ﷻ،
ثم قال: «الاستواء معلوم»، يعنى: معلوم المعنى، فاستوى على العرش معناه:
ارتفع واستقر وعلا عليه، «والكيف مجهول»، أى: مجهولة كيفيته، «والإيمان
به واجب على ما يليق بالله»، والسؤال عنه بدعة، أى: السؤال عن الكيفية،
وليس من عادة العلماء ولا السلف الصالح أنهم يسألون عن الكيفية، وإنما
يسألون عن المعنى فقط، لأنه معلوم، ثم قال: «وما أراك إلا رجل بدعة»،
فأمر به فأخرج من مجلسه وغرد، وهكذا جزاء مثل هذا الذي يشعراً
على الله ﷻ، ويسأل عن شيء لا يجوز السؤال عنه.

[١] فلا يحيط بشأنه ﷻ المتفكرون، مهما تفكرت في الله ﷻ، في
قائه، وفي أفعاله وفي صفاته، وأسمائه، لن تنتهي إلى غاية، ما عليك سوى
الإيمان بالله وأسمائه وصفاته والوقوف عند هذا ولا تسأل عن الكيفية.

[٢] التفكر في الله أن نتفكر في آيات الله، فتتفكر في آيات الله
الكونية والقرآنية، الآيات الكونية: تتفكر في الأرض والجيال والبحار والبر
والبحر والأشجار والأنهار، تتفكر فيها أنها تدل على الخالق ﷻ، وكما
قيل:

لها عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد

ولس كل شيء له آية نسدل على أنه واحد

وكما تتفكر في آيات الله القرآنية: بمعنى: أن تدبرها، وتأمل معناها،
وتفسيرها، أما أن تتفكر في كيفية أن الله تكلم بالقرآن، وكيف يتكلم، فهذا لا
يجوز السؤال عنه والتفكير فيه.

وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِي مَاجِيَةِ قَاتِهِ^(١)، وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ^(٢)، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ^(٣)،

الشرح

[١] مَاجِيَةِ^(١) يعني: ما هو.

[٢] هذا هو الدليل على تحريم التفكر في ذات الله وهو: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، فعلم الله واسع، ونحن لا نعلم من علم الله إلا ما علمنا، كما قالت الملائكة له: ﴿تَتَذَكَّرُ أَمْ لَا يَا حَاكِمُ﴾ [البقرة: ٣٢]، والله - جل وعلا - قال لبيته ﷺ: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ﴾ [النساء: ١١٣]، وقال له: ﴿وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [احد: ١١١]، فما علمه الله خلقه فإتاهم بتعليمونه، وما لم يعلمهم إياه فإتاهم بقفون عنه، ولا يدخلون فيه، وما يعلمونه شيء يسير في علم الله، قال - جل وعلا -: ﴿وَمَا أَرَبُّشَئٍ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ [الإسراء: ٨٥]، فالعلم الكامل لله ﷻ، أما علمنا فهو قليل في جانب علم الله ﷻ فلا نحيط بشيء من علمه إلا بما شاء، وعلمنا إياه على لسان رسوله ﷺ، ﴿عَلَيْكُمْ أَلْقَبُ فَلَا يُلَهِجُهُ عَنْ عَنَبِهِ لَمَّا سَأَلَ﴾ [آل عمران: ٢٦، ٢٧]، فإنه يطعمه الله على ما شاء من الغيب، لأجل مصلحة الناس، ليبين للناس، وهذا شيء معلوم في عقيدة المسلم، فالذين يزعمون أنهم يعلمون كل شيء وأنهم ارتقوا بالعلم إلى ما لا نهاية له، ويتفخرون بذلك، هؤلاء كذابين ما بلغوا من علم الله إلا شيئاً يسيراً، مما أقدرهم الله عليه، وما لم يُقدرهم عليه ولا يعرفونه أعظم وأشد وأكثر.

[٣] الكرسي مخلوق: وهو تحت العرش، فالعرش أعظم منه، والكرسي وسع السموات والأرض فكيف يكون العرش إذا كانت هذه عظمة الكرسي، فكيف بعظمة العرش فكيف بعظمة الله ﷻ! فلا تتصوره القنون ولا الأوهام، =

(١) في بعض النسخ (ماجية)، عقيدة السلف الشيخ بكر أبو زيد نفاة ص ٥٦.

وَلَا يُؤْوَدُهُ جَنَّتُهُمَا^(١)، وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ^(٢)، الْعَالَمُ الْخَبِيرُ^(٣)، الْمُدَبِّرُ^(٤)

الشرح

«وكما جاء في الحديث: «مَا السَّمَوَاتُ السَّبْعُ فِي الْكَرْسِيِّ إِلَّا كَقَرْنَيْهِمْ سَبْعَةُ أَلْفَيْتِ فِي تَرْسٍ»^(١)، فالسَّمَوَاتُ السَّبْعُ والأَرْضُونَ السَّبْعُ بالنسبة إلى الكرسي كسبعة دراهم ألقيت في ترس، والكرسي بالنسبة للعرش كما في الحديث: «مَا الْكَرْسِيُّ فِي الْعَرْشِ إِلَّا كَخَلْقَةٍ مِنْ حَبِيدِ أَلْفَيْتِ بَيْنَ ظَهْرَيْنِ فَلَاةٍ مِنَ الْأَرْضِ»^(٢).

فهذا بيان لعظمة مخلوقات الله، فكيف بعظمة الله ﷻ! فالكرسي فوق السَّمَوَاتِ، وفوق السَّمَوَاتِ بحر، ثم فوق البحر: الكرسي، ثم فوق الكرسي: العرش، والله فوق العرش، مستوٍ على عرشه، عالي على مخلوقاته ﷻ، ومع علوه وارتفاعه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فعلمه في كل مكان ﷻ، لا يخفى عليه شيء، ﴿وَمَا تَشْفَقُ مِنْ ذُنُوبِهِمْ إِلَّا بِمَا نَعَمْنَا وَلَا خَلْقٍ يَكْتُمُونَ الْأَرْضَ وَلَا رَكْبٌ وَلَا كَيْبٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ (الأنعام: ١٥٩).

(١) يعني: لا يملك حفظ السَّمَوَاتِ والأرض، فهو يخلقها ويحميها ﷻ بقدرته، ﴿إِنَّ اللَّهَ يَسْتَلِفُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَوْ تَزُولَا وَلَكِنْ رَأَيْنَا أَنْ تَحْمِلَهُمَا مِنْ أَمْرِ رَبِّ قَبِيلٍ إِنَّهُ كَانَ كَيْدًا عَظِيمًا﴾ (ماطر: ١١)، فهو الذي يمسك السَّمَوَاتِ والأرض بقدرته ﷻ، ولا تكلفه شيئاً، ولا يؤوده؛ يعني: لا يعجز، ولا يثقله حفظهما.

(٢) وهو العليُّ، على خلقه بذكائه وقدرته وقهره، العظيم الذي لا أعظم منه ﷻ.

(٣) العالم^(٣) بكل شيء، عابر بكل أحوال مخلوقاته.

(٤) المدبر لمخلوقاته، فلا يتحرك شيء ولا يسكن شيء، ولا يسلط ..

(١) ذكره الطبري في تفسيره، سورة البقرة آية (٢٥٥).

(٢) ذكره الطبري في تفسيره، سورة البقرة آية (٢٥٥).

(٣) في بعض النسخ: (العليم).

القدِير^(١)، السَّمِيعُ البَصِيرُ^(٢)، الْعَلِيُّ^(٣) الْكَبِيرُ^(٤).....

الشرح

شيء ولا يرتفع شيء إلا بولته، قال تعالى: ﴿وَمَا تَقْصِرُ عَنْ سُخْرِهِنَّ﴾ ولا يعلو شيء ولا ينقص من سُخْرٍ من شيء، إلا في كَيْفٍ إِذْ يَهْدِي عَلَى الْغَوِيِّينَ ﴿١﴾
[ماطر: ١]، الكتاب: هو اللوح المحفوظ، فقلبه أولاً، ثم كتبه في اللوح المحفوظ، فهو المدبر لكل شيء.

[١] أي: عظيم القدرة، فهذه صفة مبالغة، فهو الذي لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، أما المطلق فقد يشاء شيئاً ولكن لا يقدر عليه، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ ﴿١٠٠﴾
[يس: ٨٢]، فهو قدِير يَقْدِرُ، يأمر الشيء فيوجد بمجرد أن يأمره، يقول للشيء: كن فيكون.

[٢] اسمان من أسماء الله ينظمان صفتين: صفة السمع وصفة البصر، والمخلوق سمع بصير، والله سميع بصير، ولكن ليس سمع المخلوق وبصر المخلوق، كسمع الله وبصر الله يُبْصِرُ، لصفات المخلوق تناسبه، وصفات الخالق تناسبه يُبْصِرُ، وإن اشتركت في الاسم والمعنى، فهي لا تشترك في الحقيقة والكيفية، قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ لَفْظٍ أَشْجَىٰ مِنْ لَحْنِهِ فَجَنَّدَهُ سَبِيحًا تَبِيحًا﴾ ﴿١٠١﴾ [الإنسان: ١٦]، والله سميع بصير، فليست أسماء الله وصفاته تشبهها أسماء المخلوقين وصفاتهم، فلا تشترك في الحقيقة والكيفية، وإن اشتركت في اللفظ والمعنى.

[٣] أي: على مخلوقاته، له العلو المطلق، علو الذات فوق مخلوقاته، وعلو القدرة، وعلو الفهر، فأنواع العلو الثلاثة كلها ثابتة لله يَعْلُو.

[٤] الذي لا أكبر منه يَكْبُرُ، ولذلك نقول: الله أكبر، أي: أكبر من كل شيء، لا أحد أكبر منه يَكْبُرُ.

وَأَنَّهُ فَوْقَ عَرْشِهِ الْمَجِيدُ بِذَاتِهِ^(١١)، وَهُوَ فِي كُلِّ مَكَانٍ بِعِلْمِهِ^(١٢).

الشرح

[١] والعرش هو سقف المخلوقات وأعلامها، والله فوق العرش بذاته لا بعلمه كما تقول المؤولة: إنه فوقه بعلمه أو بقدرته أو بسلطانه، بل هو **فَوْقَهُ** بذاته، قال تعالى: ﴿كَرَّعَتْ عَلَى الْعَرْشِ أَسْتَوِينَ^(١٣)﴾ (طه: ٥)، والاستواء صفة فعلية، أما العلو فهو صفة ذاتية؛ ولهذا جاء الاستواء مرتباً على خلق السموات والأرض، قال تعالى: ﴿وَبِكُمْ رَضَّيْنَاهُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ (الأعراف: ٥٤)، فالاستواء صفة فعلية، بفعلها الله متى شاء **فَوْقَهُ**، وأما العلو فهو صفة ذاتية لا تنفك عنه **فَوْقَهُ**، وجاء لفظ **﴿اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾** في سبعة مواضع من القرآن، لم يتغير لفظها، فدل على أن معناها واحد، وهو العلو والارتفاع فوق عرشه، يقول ابن القيم **كَرَّعَتْ**:

فلهم عبارات عليها أربع	قد حصلت للنفوس الطمان
وهي استقر وقد علا وكذلك أو	نفع الذي ما فيه من لكران
وكذلك قد صعد الذي هو رابع	وأبو عبيدة صاحب الشيباني
يختار هذا القول في تفسيره	أخرى من الجهمي بالقران

فقوله^(١٤): (فلهم ... عليها) أي: في معنى: لفظة الاستواء، أربعة تفسيرات وهي: استقر، علا، ارتفع، صعد، بخلاف تفسيرات المعقولة: فالجهمية ينكرون العلو، وينكرون الاستواء، ويقولون: الله في كل مكان حتى في أمكنة القافورات والحمامات! ولا يزعمونه **فَوْقَهُ**، فهم ينكرون العلو **فَوْقَهُ**، يقولون: هو في كل مكان، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً، وقوله^(١٥): (بذاته) رد على المؤولة من الأشاعرة وغيرهم، الذين يقولون: استوى بمعنى: استولى على العرش بسلطانه.

[٢] أي: مع علوه على مخلوقاته هو في كل مكان فهو معهم بعلمه، كما قال - جل وعلا -: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ^(١٦)﴾ -

(١١) يعني ابن المصنف.

(١٢) يعني ابن القيم.

خَلَقَ الْإِنْسَانَ^[١]، وَيَعْلَمُ مَا تُوَسَّوِسُ بِهِ نَفْسُهُ، وَهُوَ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ، وَمَا تَشْفَقُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا، وَلَا حَبَّةَ فِي كُتُبِ الْأَرْضِ وَلَا زَعْبٍ وَلَا نَاسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَعِنِ^[٢].
عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى^[٣]، وَعَلَى الْمَلِكِ احْتَوَى^[٤].....

الشرح

= [آل عمران: ٥]، وقال: ﴿وَهُوَ تَعَالَى مَا كُنْتُمْ﴾ [الحديد: ١٤] أي: معكم بعلمه.

علا ببلاده فوق خلقه ومن علمه لم يخل في الأرض موضع

[١] أي: الإنسان: آدم وولده (ويعلم ما توسوس به نفسه) يعلم ما في صدر الإنسان من الأفكار قبل أن يتكلم بها (وهو أقرب إليه من حبل الوريد) الوريد: هو العرق الذي بجانب الرقبة، يجري منه الدم، والله أقرب إلى عبده من حبل الوريد الذي في عنقه، وهذا القرب ليس قرب اختلاط، ولكن قريب منه بعلمه ﷻ، فهو قريب من عباده قرب إحاطة وإطلاع لا قرب اختلاط.

[٢] الكتاب: هو اللوح المحفوظ، الذي كتبت فيه مقادير الخلائق بعد علم الله - جلّ وعلا - بها، فقد علمها أولاً ثم كتبها ثانياً، لأن مراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع:

الأولى: مرتبة العلم، أن الله علم كل شيء بعلمه الأزلي الأبدى.

الثانية: كتابة ذلك في اللوح المحفوظ.

الثالثة: مرتبة المشيئة، إنه إذا شاء حدوث الشيء ووجوده كان وجوده.

﴿وَلَا تُزَيُّوهُ إِذَا سَأَلَ عَنْ شَيْءٍ أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

الرابعة: مرتبة الخلق والإيجاد بعد المشيئة.

[٣] جاء في الآيات من سورة الأعراف وغيرها في سبعة مواضع.

[٤] يعني: احتوى الملك كله، أي: ملكه وحده قال تعالى: =

وَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى^(١) وَالصِّفَاتُ الْعُلَى^(٢)، لَمْ يَزَلْ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِ وَأَسْمَائِهِ^(٣)، تَعَالَى أَنْ تَكُونَ صِفَاتُهُ مَخْلُوقَةً، وَأَسْمَاؤُهُ مُخْدَعَةً.

الشرح

«يَكُونُ النَّفْسُ يَقَرُّ عَلَى شَيْءٍ قَوْمٌ قَوْمٌ» (الملك: ١)، وقال تعالى: «فَسَخَّرَ كُلُّهُمْ يَدَيْهِ، فَكَانُوا عَلَى قَوْمٍ ذُلًّا مُتَكَبِّرِينَ» (إبر: ٨٣)، فالمملك كله لله - جلّ وعلا - وإنما يملك المخلوق شيئاً يسيراً ثم يسلبه منه، قال تعالى: «فَرَأَى أَهْلُ مَكَّةَ مَهْزُومِينَ وَفِي السُّفْهِانِ قَوْمٌ لَاقُوا وَفَرَّقَ مَا بَيْنَهُمْ وَمَكَرَ اللَّهُ بَيْنَ قَوْمٍ لَعَنَهُ وَفُتِنَ مِنْ لَدُنْهُ قَوْمٌ لَعَنَهُ» (آل عمران: ٦٦)، فملوك الدنيا مُملكون؛ ملكهم الله ﷻ، ثم ينزع منهم الملك؛ إما بموتهم، وإما بتسلط أحد عليهم، أما مالك الملك المطلق فهو الله - جلّ وعلا - الذي لا يزول ملكه ﷻ، ولا يبدل.

[١] قال تعالى: «لَا إِلَهَ إِلَّا قَوْمُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى» (طه: ١٨)، وغيرها من الآيات، فأسماء كلها حسنى؛ لأنها تدل على الكمال، ولها معاني جليلة فكل اسم منها يدل على صفة عظيمة من صفات الله ﷻ، فهي ليست أسماء مجردة، وإنما هي أسماء لها معاني عظيمة؛ ولذلك سميت حسنى؛ فالرحمن يدل على الرحمة، والسميع يدل على السمع، والبصير يدل على البصر، والعليم يدل على العلم، والحي يدل على الحياة... إلخ.

[٢] وهي كلها صفات علية، وصفات عالية، وليست كصفات المخلوقين التي منها صفات ذميمة.

[٣] الله - جلّ وعلا - لم يزل ولا يزال بجميع أسمائه وصفاته، لم يحدث له صفة بعد أن لم تكن؛ فأسماءه وصفاته ملازمة له، ولا بداية لها كما أنه لا بداية له سبحانه، ولا نهاية لها كما أنه لا نهاية له ﷻ، فانه بجميع أسمائه وصفاته هو الأول والأخر والظاهر والباطن، وفي هذا رد على الذين يتفنون الأسماء والصفات كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة ويقولون: إذا أتبنا الأسماء والصفات جعلنا له شركاء في القدم وهو لا شريك له في القدم، ولذلك من أصولهم الخمسة: التوحيد وهو نفي الصفات، ونرد عليهم: بأن =

كَلَّمَ مُوسَى بِكَلَامِهِ^(١).

الشرح

«الصفة ليست غير الموصوف، والاسم ليس هو غير المسمى، حتى تقولوا: إنها شركاء لله ﷻ» ولذلك يسمي هؤلاء الذين يشتون الأسماء والصفات بالمشركين ويصفونهم بالشرك؛ لأنهم أتبعوا شركاء لله بزعمهم، حيث جعلوا الأسماء والصفات كأنها مخلوقات تنافك الله ﷻ بزعمهم، وهذا من كفرهم وضلالهم، حتى إن الرازي قال عن ابن خزيمة لما كتب مؤلفاً في الأسماء والصفات وسماه «كتاب التوحيد» قال عنه: إن هذا الكتاب هو كتاب الشرك^(٢)، لأنه يثبت الأسماء والصفات لله، فمعناه: أنه جعل لله شركاء، هكذا يزعمون، فهم يتفون الأسماء والصفات من أجل التوحيد بزعمهم، فالمرحوم عندهم هو الذي ينفي الأسماء والصفات، والمشرك عندهم هو الذي يثبت الأسماء والصفات - تعالى الله عما يقولون - وهو قول باطل حتى في المخلوقين إذا قلت: زيد عالم وكاتب وحاسب... إلى آخره، هل معناه أنك جعلت أسماء زيد وصفاته مخلوقات أخرى معه وشريكة له؟ هذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول.

[١] هذا رد على الجهمية؛ فأسماؤه وصفاته ملازمة لذاته؛ لا بداية لها ولا نهاية، كما أن ذاته لا بداية لها ولا نهاية، وصفاته منها ما هو صفة ذات وما هو صفة فعل، وصفات الأفعال قديمة النوع حادثة الأفراد.

فمن صفاته العقلية: الكلام؛ فانه يتكلم حقيقة، ويسمع من الكلام، كَلَّمَ موسى ﷺ وسمع كلامه؛ ولذلك سمي موسى كليم الله، ويتكلم جبريل بالوحي وسمع كلامه، ويبلغه المرسل، فهو يتكلم إذا شاء بكلام يُسمع، أما الجهمية فيقولون: الله لا يتكلم؛ لأن المخلوق يتكلم، وإذا وصفنا الله بالكلام فمعناه أننا شبهنا الخالق بالمخلوق، فهم لا يفرقون بين صفات المخلوق وصفات المخلوق، فانه يتكلم إذا شاء بكلام يُلحق به ﷻ، وليس مثل كلام المخلوق، فكلامه صفة له من صفات أفعاله، التي يفعلها إذا شاء ومعنى شاء، وبما شاء ﷻ لا بداية لكلامه ولا نهاية؛ كسائر صفاته، والجهمية يقولون: «

(١) التفسير الكبير (١٧٠/٢٧).

الَّذِي هُوَ صِفَةٌ ذَاتِيَّةٌ^(١١) لَا خَلْقَ مِنْ خَلْقِهِ^(١٢)، وَتَجَلَّى لِلْجَبَلِ
قَصَارَ ذِكْرًا مِنْ جَلَالِهِ^(١٣).

الشرح

= كلام الله مخلوق، ومعنى كَلَّمَ الله موسى عندهم خلق الكلام في موسى، وليس المعنى أن الله كَلَّمَهُ حقيقة وسمع موسى كلام الرب ﷻ، وكذا هم يقولون عن القرآن إنه مخلوق وليس كلام الله حقيقة وإنما خلقه الله في اللوح المحفوظ، وأخذه جبريل من اللوح المحفوظ وأتى به إلى محمد ﷺ - تعالى الله عما يقولون - وعدم الكلام نقص في حق الله فالذي لا يتكلم معناه أنه ناقص، ولهذا قال لما اتخذ بنو إسرائيل العجل: ﴿لَا يَبْقَى إِلَهٌ لَّا يَتَّخِذُ لَهَا تَصَوُّرًا وَلَا نَبِيًّا﴾ (الأنعام: ٢٥)، وفي الآية الأخرى قال: ﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَتَذَكَّرُ لَكُمْ قَوْلًا وَلَا قَوْلًا لَّيْلًا وَلَا نَهَارًا﴾ (طه: ٨٩)، فالله عاب هذا الذي صنعه السامري واتخذ بنو إسرائيل إلهاً لهم وقالوا: ﴿فَعَلَّا بِالْحَقِّمْ وَأَلَّا مَوْجِبَ قَوْلٍ﴾ (طه: ٨٨)، موسى نسي وذهب يبحث عن ربه وهو معكم، قال الله رداً عليهم: ﴿لَا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَتَذَكَّرُ لَكُمْ قَوْلًا وَلَا قَوْلًا لَّيْلًا وَلَا نَهَارًا﴾ (طه: ٨٩)، فالذي لا يتكلم لا يصلح أن يكون إلهاً، كيف يكون إلهاً وهو لا يتكلم ولا يأمر ولا ينهى ولا يذير، تعالى الله عما يقولون.

(١) أي الكلام: من صفات الله، فهو صفة فعل، وكل صفة فعل فهي صفة ذات أخصاً.

(٢) هذا رد على الجهمية الذين يقولون: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى﴾ (النساء: ١٦٤).

يعني: خلق في الكلام، وهذا قول باطل قاله كَلَّمَهُ بكلام سمعه موسى منه.

(٣) كما في قوله تعالى في قصة موسى ﷺ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى زَيْنُ الْقَوْلِ جَمْعًا دَسَّخًا﴾ (الأنعام: ١١٣)، لأن موسى ﷺ لما سمع كلام ربه اشتاق لرويته فقال: ﴿يَا رَبِّ لِمَ أَتَيْتَنِي بِهَذَا؟﴾، قال الله له: ﴿إِنَّ زَيْنَ الْقَوْلِ لَا تَطِيقُ رَوِيهِ وَأَرَادَ ﷻ أَنْ يَبَيِّنَ لَهُ أَنَّهُ لَا يَطِيقُهَا بِنَا يَحْصِلُ لِلْجَبَلِ إِذَا تَجَلَّى إِلَيْهِ فَقَالَ: ﴿فَلَمَّا تَخَلَّى زَيْنُ الْقَوْلِ دَسَّخًا فَسَوَّى زَيْنُ الْقَوْلِ زَيْنُ الْقَوْلِ جَمْعًا﴾.

وَأَنَّ الْقُرْآنَ كَلَامُ اللَّهِ، لَيْسَ بِمَخْلُوقٍ قَبِيضٍ، وَلَا صَفِيٍّ لِمَخْلُوقٍ

مُتَقَدِّمٌ.

التشريح

«يَكَلِّمُكَ دُخَانٌ»، أي: ارتجف الجبل وتحول إلى تراب، ﴿وَنَزَّلْنَا سُورَةَ الضَّحَى﴾ (الاحزاب: ١١٣) أي: مفتيلاً عليه من شدة الهول إلى آخر ما ذكره الله.

[١] مما يعتقدُه أهل السُّنَّة والجماعة أن القرآن كلام الله منزل غير مخلوق، منه بدأ وإليه يعود، والقرآن الكريم فرد من أفراد كلام الله؛ لأن جنس كلام الله لا يتعد وهو الكلام الذي يدبر به مخلوقاته بأوامره ونواهيه ولا بداية له ولا نهاية له، فهو قديم النوع، حادثة الأفراد، بمعنى أنه يتكلم ﷻ بما شاء متى شاء، وكيف شاء في الأزل والأبد واثماً وأبدأً، فتكلامه ﷻ صفة من صفاته الفعلية؛ التي يفعلها متى شاء، فتكلام الله من جملة صفاته الفعلية، ومن آياته: القرآن الكريم، والكتب المنزلة على رسله، فإله تكلم بالنبوة وإبلاغ الجليل والقرآن، وتكلم بالكتب المنزلة، وتكلم من شاء من عباده، كما يشاء ﷻ، فيجب الإيمان بذلك، وأن القرآن كلام الله، لفظاً ومعنى، بخلاف قول الجهمية الذين ينفون الكلام عن الله كما ينفون عن الله سائر الصفات، ويقولون: إن كلامه مخلوق، خلقه الله إما في اللوح المحفوظ، وإما في جبريل، وإما في محمد وموسى وعيسى، فهو من جملة مخلوقاته، وهذا قول باطل، فإن كلام الله صفة من صفاته الفعلية غير مخلوق، ولا يشبه كلام الخلق.

فالْمَخْلُوق يتكلم أيضاً، والله - جلّ وعلا - يتكلم، المَخْلُوق يسمع والله - جلّ وعلا - يسمع، المَخْلُوق يبصر، والله - جلّ وعلا - يبصر ويرى ﷻ. ولكن صفات الله تليق به، وصفات المخلوقين تليق بهم، فلا يشبه هذا هذا، فصلاوات المخلوقين مخلوقة، وأما صفاته - جلّ وعلا - فإنها غير مخلوقة، بل هي أزلية بأزليته ﷻ، وكلامه لا يتبدل ولا يُحمد، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ الْبَرُّ مِثْلَ حَاشِيَةِ الْحَبِّ لَآتَىكَ الْبَرُّ لَئِنْ لَقِيتَ لَآتَىكَ نَفْثَ دَابَّةٍ يَلْمِزُكَ يَتْلُو رَبِّكَ﴾ -

التشريح

« (الكهف: ١٠٩)، وقال: ﴿وَلَوْ لَمَّا فِي الْأَيَّامِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْنَدَ وَالْخَرِّ بَشْمًا مِنْ بَقِيَّةٍ سَبْعَةَ أَهْمَرٍ ثَا بَدَتْ لَكِنَّتُ أَوَّلًا﴾ (المداد: ٢٧)، قاله يتكلم - جلّ وعلا - متى شاء، يتكلم في الأزل، ويتكلم في المستقبل، ويتكلم متى شاء سبحانه، بأمر ومنه ويدير، ولا حد لكلامه ﷻ.

كَلَّمَ جبريل وسمع جبريل كلامه، كَلَّمَ موسى ﷺ، وسمع موسى ﷺ كلامه، وكَلَّمَ محمداً ﷺ ليلة المعراج، وكَلَّمَ آدم ﷺ، فهو يتكلم متى شاء بكلام يلين بجلاله ﷻ، لا يشبه كلام المخلوقين، كما أن سائر صفاته لا تشبه صفات المخلوقين، ﴿بَلِّغْ كُتُبِهِمْ شَرْعًا وَتَقَرَّ أَشْجَعُ الْعَمِيرُ﴾ (الشورى: ١١)، فالقرآن الكريم من كلامه، لفظه ومعناه، والجهمية يقولون: لفظه ومعناه مخلوقان، والأشاعرة يقولون: لفظه مخلوق، وأما معناه فهو غير مخلوق وهو المعنى القائم بالنفس، وعبر عنه جبريل، فالقرآن عبارة أو حكاية عن كلام الله ﷻ، وهذا مشتق من قول الجهمية أيضاً، إلا أنهم ياروقهم في أن معناه غير مخلوق وأما لفظه فمخلوق، وأما أهل السنة فيقولون: القرآن كلام الله لفظاً ومعنى، كما يلين بجلاله ﷻ، والكلام والصفات هي كمال، أما الذي لا يتكلم فإنه ناقص، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

ولهذا لما اتخذ بنو إسرائيل العجل الذي صنعه لهم السامري من الذهب، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُ لَا يَتَكَلَّمُ وَلَا يَتَّبِعُهُمْ سَبِيلًا﴾ (الاعراف: ١١٨)، فدلّ على أن الله - جلّ وعلا - يتكلم عباده، وأما الذي لا يتكلم فهو جماد، وإبراهيم ﷺ قال لأبيه: ﴿يَكُنْ لِي قَدًّا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾ (مریم: ١٢)، فدلّ على أن الذي لا يسمع ولا يبصر ولا يتكلم لا يصلح أن يكون إلهاً، ولا يلزم من إثبات الصفات لله مشابهته للمخلوقين فأسماء الله وصفاته لا تشبه صفات خلقه، وأسماءه لا تشبه أسماء خلقه، وكلامه لا يشبه كلام خلقه، وصفات المخلوقين تليق بهم، وصفات الله تليق -

وَالْإِيمَانُ بِالْقَدِيمِ^(١)

الشرح

« به، فهناك فرق بين هذا وهذا، وهذا ما ذكره المؤلف كثرة في قوله: (وإن القرآن كلام الله) وكذا الإنجيل كلام الله، والتوراة كلام الله، وكلامه أكثر من هذا **§**. وهو (ليس بمخلوق) كما تقول الجهمية؛ لأنه لو كان مخلوقاً فالمخلوق يفتنى، ويبد، فعلى هذا فالقرآن يبد، والقرآن لا يفتنى ولا يبد، وكذا سائر كلامه **§**. (ولا صفة لمخلوق) هذا رد على الذين يقولون: إن القرآن إنما تكلم به جبريل، والرد عليهم أنه لو كان كذلك لكان صفة لمخلوق، وصفات المخلوق تنفذ، وكلام الله لا ينفذ، قال تعالى: ﴿لَوْ كَانَ آخِرُ بَدَأٍ يَكُونُ لَوْ أَنَّهُ آخِرٌ لَرَأَوْا أَنَّ نَفْثَتُ كَلِمَتٍ لِّدِي وَلَوْ جَاءَ بِتِلْكَ نَفْسٌ﴾ (الكهف: 109)، فكلام الله لا ينفذ كسائر صفاته.

(١) الإيمان بالقضاء والقدر، وأن من أركان الإيمان كما في حديث جبريل لما سأله عن الإيمان، فقال **§**: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»، والقدر: هو ما قدره الله وقضاء وكتبه في اللوح المحفوظ، ومراتب الإيمان بالقضاء والقدر أربع:

المرتبة الأولى: مرتبة العلم، وهي أن الله علم كل شيء، يعلمه الأزلي الذي هو موصوف به دائماً وأبداً، علم ما كان وما يكون.

المرتبة الثانية: مرتبة الكتابة، وهي: أن الله كتب في اللوح المحفوظ كل ما جرى ويجري إلى أن تقوم الساعة.

المرتبة الثالثة: مرتبة المشيئة، وهي: أن الله إذا شاء إيجاد هذا المخلوق في وقت، فإنه يوجد **§**، فلا يكون في ملكه ما لا يريد ولا يشاء، ولا يلحق.

[١٧] الله قادر على كل شيء: الخير والشر، والإيمان والكفر، والهداية والضلال، كله من قدر الله، وهو من ناحية خلق الله له: غير شر؛ لأنه خلقه لحكمة، وإنما هو شر بالنسبة إلى من وقع عليه؛ فالقتل، والجراح، والمكرهات كلها شر على من وقعت عليه، وهي بالنسبة إليه ﷻ ليست بشر، بل من كماله سبحانه، أنه خلق الخير والشر؛ لأنه من كمال الخلق، فلا يقتصر على الخير فقط، ولا على الشر فقط، بل خلق هذا وهذا، وهذا من عجائب خلقه ﷻ، وما خلق الشر إلا لحكمة، ما خلقه عبثاً، إنما خلقه ليثبط به ويختبر به من يستحق العقوبة، والعقوبة شرٌّ على من وقعت عليه، ولكنها عدلٌ من الله ﷻ، فهي بالنسبة إلى الله محمودة؛ لأنها تناسب المحل.

خَلَوْهُ وَمُرَّو^[١]، وَكُلُّ ذَلِكَ^[٢] قَدْ قَدَّرَهُ اللَّهُ رُبَّمَا، وَمَقَابِيرُ الْأُمُورِ
يَبِينُ^[٣]، وَمَنْظُرُهَا عَنْ قَضَائِهِ^[٤].

الشرح

«الذي وقعت عليه، وهي عدل من الله - جلّ وعلا -، فكما أنه يجازي المحسن، فكذلك يجازي المسيء، يجازي المحسن بالخير ويجازي المسيء بالشر، فهذا من عدله ﷻ فلا يوزي بين المحسن والمسيء، فانه خلق الشر لحكمة عظيمة، ولعدل منه ﷻ، فيجب الإيمان بالقدر غيره وشره، لا يؤمن بالخير فقط، بل يؤمن بالخير والشر كله من الله ﷻ، والتي ﷻ قال: «وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ»^[١].

[١] على العباد، خلق ومرت من جهة العباد، فالشر مرت، والخير مخلوق، كله من الله ﷻ، الله خلق المتضادات لحكمة منه ﷻ، حتى نعرف قدرته ومشيئته وحكمته ﷻ.

[٢] أي: الخير والشر، خلوه ومره، كله (قد قدره الله ربنا).

[٣] فكل مقادير الأمور بيد الله ﷻ، ليس هناك شيء يغير قدر الله كما تقول المعتزلة، الذين يقولون: إن الله ما خلق إلا الخير، وأما الشر، إنما العبد هو الذي خلقه، فخلق الكفر والمعاصي، ويقولون هذا من باب التنزيه لله برزعمهم؛ لأنهم ما عرفوا حكمة الله - جلّ وعلا - في المخلوقات، وقيسونه على خلقه، وهذا باطل؛ فالمعتزلة يخرجون الكفر والشر من القضاء والقدر، ويقولون: إن العبد هو الذي يوجد هذه الأشياء ويأتي بها استقلالاً دون أن يقدرها الله عليه، فمقادير الأمور كلها بيد الله ﷻ، قال تعالى: ﴿وَتَخْلُقُ مَا تَشَاءُ كَيْفَ تُنْقِذُ النَّفْسَ﴾ [التقوان: ٢٢].

[٤] فلا يحصل شيء إلا وقد قضاه الله، ولا يحصل شيء لم يقدره الله.

عَلِمَ كُلَّ شَيْءٍ قَبْلَ كَوْنِهِ^(١١)، فَخَرَى عَلَى قَدَرِهِ^(١٢).

لَا يَكُونُ مِنْ عِبَادِهِ قَوْلٌ وَلَا عَمَلٌ إِلَّا وَقَدْ قَضَاهُ وَسَبَقَ جَلْمُهُ بِهِ^(١٣)، ﴿أَلَا بِتَعَمُّنِ مَنْ خَلَقَ وَمَوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(١٤) [المك: ١٧١].

يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ فَيَهْدِيهِ بِعَدْلِهِ، وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَيُوقِفُهُ بِفَضْلِهِ^(١٥).

الشرح

[١] علم كل شيء بعلمه الأزلي، الذي هو موصوف به أزلاً وأبداً، هذه مرتبة العلم.

[٢] وجريانه وحصوله وإيجاده في وقته، مرتبة من مراتب القضاء والقدر.

[٣] لا يكون من عبادته قول أو عمل من خير أو شر، من كفر أو إيمان، ونسيح ومياب وشتم، لا يكون إلا بقضاء الله وقدره، وإيجاده وعقله ﷻ.

[٤] ﴿أَلَا﴾ هذا استفهام تقرير، وهو أنه ما خلق إلا بعدما علم، علم الأشياء ثم أوجدها، وهو اللطيف الذي لا يخفى عليه شيء، الخبير بكل شيء.

[٥] يضل من يشاء بعذله، ويهدي من يشاء بفضلته، فالفضل من الله ﷻ يؤتبه من يشاء، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا لَوْلَا بِرَّيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الصفا: ١٦]، وأما الشر فإله - جلّ وعلا - يوقعه بمن يناسبه، ومن يستحقه، فهو عدل منه ﷻ، فهو محمود على هذا وهذا، محمود على الفضل، ومحمود على العدل، فهو يضل من يشاء بعذله، ولكن السبب من قيل العبد، فإنه لم يضل الحق وعارض الحق وأنكر الحق، مثل فعل الكفرة مع الأنبياء، فإن الله يجازيهم فيضلهم عقوبة لهم، بسبب أعمالهم وإعراضهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبُوا لَوْلَا فَضْلُهُمْ وَأَلَّا لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الصفا: ١٥]، فإنه لا يهديهم بسبب فسقهم، ولا يهدي الكافرين بسبب كفرهم، ولا يهدي القوم الظالمين بسبب الظلم، فالأشياء مرتبطة بأسبابها، ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ هَدَىٰ لَهُمُ أَمْرَهُمْ وَتَمَكَّنَ يَأْتِيهِمْ

فَكُلُّ مُشْرٍ يَنْتَجِبُهُ إِلَى مَا سَيَقُ مِنْ عِلْمِهِ وَقُدْرِهِ مِنْ شَيْءٍ أَوْ
سَيِّئٍ^(١).

تعالى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ^(٢).....

الشرح

① تَنْتَجِبُهُ يَنْتَجِبُهُ ② وَأَنْ مَرَّ يَجَزَّ ③ وَكَانَ يَكْتَسِبُ ④ تَنْتَجِبُهُ يَنْتَجِبُهُ
⑤ (الليل: ١٠ - ٥)، فأما الذي يحب الخير ويقبل الخير ويقبل على الخير
ويطلب الخير؛ فإن الله يوفقه ويهديه، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِغَيْرِ أَرْحَامٍ آتَيْنَاهُمُ الْقُرْآنَ أَنْ لِيُثَبِّتَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ هُكْلًا
وَمَا يَشَاءُ مِنْ أَشْيَاءٍ وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ يُفْسِدُ فِي الْأَرْضِ نَجْعَلُهُ عَيْنًا يَكْرَهُهُ اللَّهُ إِنَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (سجدة: ٢٧)، وأما الذي يعرض عن الخير ويكفر به
ويعادى؛ فإن الله يخذله عقوبة له ويعدل منه ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ (سجدة: ٢٧)، وأما الذي يفسد في مواضعها،
ويضع الهداية في مواضعها، ويضع الإضلال في مواضعها، وهذا كله عدل
منه ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُ﴾.

[١] قال النبي ﷺ للصحابه: «مَا بَيْنَكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا وَقَدْ حُبِبَ تَقَفُّةً مِنْ
النَّارِ وَتَقَفُّةً مِنَ الْجَنَّةِ»، وذلك بقضاء الله، فقال الصحابة: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَفَلَا
تَكْفُلُ عَلَى كِتَابِنَا وَلَدَغَ الْعَقْلِ؟ أي: من كتب له أن يدخل الجنة يدخلها ومن
قدّر له أن يدخل النار يدخلها، قال: «اغْتَفَلُوا كُلُّ مُشْرٍ لَنَا حَقٌّ لَهُ»، ثم قرأ:
﴿وَمَا مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا نَلْقَىٰ مِنْهَا خَلْقًا ① وَكَانَ مِنْهُمْ نَاصِرٌ ② وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلِمَنْ جَاءَ مِنْهُ الْهَادِيَةُ مِنَ اللَّهِ فَلَمْ تَأْتِهِ بِالْبَيِّنَاتِ ③ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ
إِلَٰهٌ إِلَّا اللَّهُ فَكَفَرَ ④﴾ (الليل: ١٠ - ٥)، فيبين سبحانه أن
الإضلال والهداية بسبب من العبد، وعدل من الله ﷻ وأفضل منه.

[٢] تعالى سبحانه وتعالى أَنْ يَكُونَ فِي مُلْكِهِ مَا لَا يُرِيدُ، لا يكون في
ملك الله إلا ما أَرَادَهُ ﷻ من خير أو شر، من كفر وإيمان، من هداية
وإضلال، يضع كل شيء في موضعه فعندما يستحق.

أَوْ يَكُونُ لِأَحَدٍ عَنَّا عِقْدٌ يُتَىٰ

الشرح

وهذا بخلاف قول القدرية الذين يقولون: إن الله لم يرد الكفر ولم يرد الشر، فهذا تعجيز لله ﷻ، أن يكون في ملكه ما لا يريد، نقول: لا، الخير والشر كله بيد الله، والكفر والإيمان كله بتقدير الله ﷻ، ما خلقهما عبثاً ولا ظمناً، مثلاً: السموم خلقها الله، وهي ضارة وقاتلة! ولكن إذا وضعت في مواضعها فتنفع أو تضر، يوقعها الله على من يعاقبه فيُضر، ويوقعها على من يريد له الشفاء فيُشفى، فالله خلق هذا السم وإن كان قاتلاً، ولكن فيه حكمة، وخلق الجوع والشرع للحكمة، ابتلاءً وامتحاناً، وخلق المرض والصحة، فخلق المتصادات ولكن كل شيء يوضع في موضعه، لو أن الله ما خلق إلا الخير قالنا: كلهم يدخلون الجنة، والله - جلّ وعلا - يريد أن لا يدخل الجنة أحد إلا بعمله، قال تعالى: ﴿ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢]، فلا يدخل أحد الجنة إلا بعمل، ولا يدخل النار إلا بعمل.

[١] لا أحد يستغني عن الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَكَلِّمُنَا أُنْثَىٰ﴾ كل الناس حتى الملوك الكبار والأغنياء، ﴿أُنْثَىٰ الْقَفَرَةِ إِلَىٰ أَهْلِ الْبَيْتِ الْمَرْغُوبِ﴾ [فاطر: ١٥]، كلهم فقراء إلى الله، لا أحد يستغني عن الله، ولو كان عنده أموال الدنيا فإنه فقير لا يستغني عن الله، من الذي يُقي له أسواله، من الذي يُصح جسمه، من الذي يلهمه الاكتساب وجمع الأموال؟ هو الله ﷻ، فأنتم الفقراء إلى الله من كل وجه، والله هو وحده الغني عن خلقه من كل وجه، فهو الغني الحميد الم محمود على كل حال ﷻ، على أفعاله، وعلى أقداره، وعلى كل أموره ﷻ، كلها محمود عليها؛ لأنه يضع الأمور في مواضعها، ولو أن الله ما خلق إلا الكفر ما دخل الجنة أحد، فالله خلق الجنة والنار، وخلق الكفر والإيمان، هذا للنار وهذا للجنة، فمن سلك طريق العمل الصالح دخل الجنة، ومن سلك طريق الكفر والشر دخل النار، ولا يسوّي الله بين هذا وهذا، قال تعالى: ﴿لَمْ يَحِبَّ إِلَيْنِ أَنْزَعُوا شَيْئًا مِنْ أَنْ نَحْنُ أَكْبَرُ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(خَالِقاً لِكُلِّ شَيْءٍ: ^(١١)، أَلَا هُوَ رَبُّ الْعِبَادِ وَرَبُّ أَعْمَالِهِمْ ^(١٢))،
وَالْمُقَدِّرُ لِحَرَكَاتِهِمْ وَأَجَالِهِمْ ^(١٣).

الشرح

« وَخَلِقُوا كُلَّ شَيْءٍ سَوَاءً خَلَقَهُمْ وَمَتَّاعَهُمْ سَاعَةً مَا يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ » (الجن: ٥١).

[١١] ليس هناك شيء خلقه غير الله، فكل ما في هذا الكون الله خالقه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدْ رَعَوْا عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٥١﴾﴾ (الزمر: ٦٢)، وقال: ﴿هَذَا عَلَىٰ أَنَّهُ مُتَأَنِّفٌ مَا كَانَ خَلْقَ الْبَيْنِ مِنْ دُونِهِ﴾ (الصمد: ١١)، وقال: ﴿لَمْ يَكُنْ لَكُمْ قُدْرَةٌ عَلَيْهِمْ فِي الْخَلْقِ﴾ (الأحقاف: ٤)، اتبعوا بدليل على أن هناك شيئاً خلقه فلان أو علان، وما استطاعوا أن يأتوا بدليل، وهذا تحد من الله ﷻ، يدل على أن كل هذا الكون من خلق الله ﷻ، فإله هو الخالق وحده، وما سواه فهو مخلوق، قال تعالى: ﴿إِنَّ إِلَهَكُمْ خَلْقُكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ أَنَّ لَهُمْ لِحَافًا أَنْ يَمْنُنَ اللَّهُ﴾ (الحج: ١٧).

[١٢] الله رب العباد، ومالكهم والمتصرف فيهم، وهو مربيهم، ومغذيهم بنعمه ﷻ، وهو الذي يربيهم بالوحي، ويربيهم بالرزق لأبدانهم، ويربيهم بالوحي لقلوبهم فهو يربي العباد، وهو أيضاً رب أعمال العباد، قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَأَنَا مُتَعَلِّلٌ ﴿٥٢﴾﴾ (الصافات: ٩٦)، فهو خالقكم وخلق ما تعملون، لا أحد يستقل بفعله، ويخلق من دون الله، بل الله هو الذي يخلق ﷻ، والمخلوق لا يخلق فعل نفسه.

[١٣] فلا يتحرك إلا بقدر الله وقضائه، هو الذي يقدر حركاتهم وهو الذي يقدر أجالهم، ونهاية أعمالهم، ﴿وَمَا يَمُرُّ مِنْ سُحُورٍ مِنْ لَيْلٍ وَلَا مِنْ آفَافٍ مِنْ نَهَارٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ ﴿١١﴾﴾ (طه: ١١).

(١١) في بعض النسخ: (أو يكون خالقاً لشيء، إلا هو، رب العباد ورب أعمالهم)، حليمة السلف للشيخ بكر أبو زيد ثلاثة ص ٥٧.

الْبَاجِثِ الرُّسُلِ إِلَيْهِمْ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ^(١).

ثُمَّ خَتَمَ الرِّسَالَةَ وَالنَّدَارَةَ وَالشُّبُوهَ بِمُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ^(٢).

الشرح

[١] من رحمته ﷺ بعباده أنه لم يكلمهم في دينهم لأنفسهم يختارون ما يرون أنه خير، وقد لا يكون خيراً؛ لقصورهم وقصور علمهم وإدراكهم، قاله - جلّ وعلا - لم يكلمهم إلى عقولهم، وإنما أرسل رسله وأنزل كتبه ليبين للناس العبادة التي يريدونها منهم، وطريق الخير وطريق الشر هداية لهم، وإقامة للحجة عليهم؛ فالؤمن يتبع بها أنزله الله، والكافر تكون الرسل والكتب حجة عليه؛ قاله لم يترك العباد قفلاً ولا شدي، وإنما أرسل إليهم رسله، وأنزل عليهم كتبه، ولم يكلمهم إلى اختيارهم وعقولهم وتفكيرهم.

[٢] الرسل أولهم نوح، قال تعالى: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَكَالِإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ﴾ (النساء: ١٦٣)، أما الأنبياء فمن قبل نوح ﷺ، آدم نبي، وإدريس، أما الرسل فإن أولهم نوح ﷺ وخاتمهم محمد ﷺ، قال الله - جلّ وعلا -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ لَّا يَكُونُ مِنْ بَنَاتِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾ (الأحزاب: ٤٠)، فلا يأتي بعده نبي، وقال ﷺ: ﴿وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي﴾، فهو نبي آخر الخلق وإلى أن تقوم الساعة، وبعد بعثة محمد ﷺ لا حاجة بالناس إلى بعثة نبي بعده؛ لأنه ﷺ جاء بما يغني الناس إلى أن تقوم الساعة؛ فالقرآن صالح لكل زمان ومكان، والشرعة الإسلامية صالحة لكل زمان ومكان، فمن اعتقد أنه يبعث نبي بعد محمد ﷺ فهو كافر، ومن ضلّ الكذبة المنتسبين فهو كافر؛ ولذلك لما ادعى النبوة أحمد القادري في هذا الزمن حكم المسلمون عليه بالإجماع أنه كافر، وعلى أتباعه بأنهم كفراء، عملاً بقوله - جلّ وعلا -: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ لَّا يَكُونُ مِنْ بَنَاتِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولُ اللَّهِ وَخَاتَمُ النَّبِيِّينَ﴾، وقوله ﷺ: «سَيَكُونُ فِي أُنْثَى خَدَابُونَ تَلَاوُونَ كُلَّهُمْ بِرَأْسِهِمْ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ لَا نَبِيَّ بَعْدِي»^(٣).

فَجَعَلَهُ آخِرَ الْمُرْسَلِينَ بُشِيرًا وَنَذِيرًا^[١]، وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ^[٢]
وَمِرَاجًا مُبِيرًا^[٣]، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ الْحَكِيمَ^[٤]، وَفَرَّخَ بِهِ دِينَهُ
الْقَوِيمَ^[٥]، وَقَدَّى بِهِ الصَّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ.
وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا^[٦].

الشرح

= وليست الخليفة بحاجة إلى نبي بعد محمد ولا إلى كتاب بعد القرآن؛ فمن
أصول العقيدة اعتقاد أن الرسول ﷺ عاتم النبيين وأن من ادعى النبوة بعده
فهو كافر وكذاب.

[١] (بشيراً) لأهل الخير (ونظيراً) لأهل الشر.

[٢] أي: داعياً إلى شرعه، وإلى دينه، ونوعيته.

[٣] (ميراجاً) يخرج الله به من الظلمات إلى النور، و(مبيراً) للكون بنور
الإيمان والهداية والوحي.

[٤] أنزل عليه القرآن، الذي هو أعظم الكتب، وهو المعجم على
الكتب كلها، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزل من حكيم
حميد، وهو الباقي إلى أن يرفع في آخر الزمان قبل قيام الساعة.

[٥] هذا الكتاب الحكيم شرح الله به دينه، فهو الذي بين الدين، قال
تعالى: ﴿وَزَكَّا فَعَلَّمَ الْكُتُبَ بِحِكْمٍ﴾ [١] ﴿إِذْ خَوَّاهُ وَقَدْ رَزَقَكُمُوهُ﴾ [٢] ﴿فَلْيَسْتَلِيمُوا﴾
[البحر: ٨٩] فالكتاب نبياً لكل شيء، مما يحتاجه الناس إلى أن تقوم
الساعة، فلا تنزل نازلة إلا وفي القرآن ما تبين حكمها لمن عنده علم وحيرة،
قال تعالى: ﴿فَلَا يَأْتِيَنَّكَ يَتْلِي إِلَهُ يَتْلُو﴾ [٣] ﴿وَأَنْتَ قَلِيلٌ﴾ [٤] ﴿الفرقان: ٣٣﴾،
والتسعة مبيحة ومفسرة للقرآن وموضحة له، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
الْبُحُرَّ لِيَتَّبِعَنَ أَفْهَامُ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ وَتُفَكِّرُونَ﴾ [البحر: ١٨٤].

[٦] من أصول الإيمان: الإيمان باليوم الآخر، فمن أنكروا فهو كافر،
وقد أنكروا المشركون، فصار هذا زيادة في كفرهم، وكذلك من كان يدعي =

الشرح

« يأجوج ومأجوج »^(١)، وهم قوم من بني آدم لا يكادون يفتقرون قولاً، ويقسدون في الأرض، وقد طلب الناس من ذي القرنين أن يجعل بينهم وبين الناس سداً، فقام ذو القرنين بما أعطاه الله من القوة والإمكانات فبنى السد الذي لم يستطيعوا أن يفتقروه، ولم يستطيعوا أن يظهروا عليه، فحال بينهم وبين الناس إلى أجل محدود، ثم يترك هذا السد، فيخرج يأجوج ومأجوج على الناس، ويحصل منهم ما يحصل، قال: ﴿قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي﴾ يعني: هذا السد، ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ حَقُّ يَوْمِهِمْ فَكَانُوا عَلَيْهِ كَايَاقًا﴾ يعني: فإذا جاءهم يومهم، وسلم المسلمون من شرهم كما جاء في الأحاديث.

ومن العلامات الكبرى ظهور المهدي^(٢)، وهو من نسل الحسن بن علي^(٣)، يظهر في وقت خلاف ثم يبايعه الناس، ويسير بالناس سيرة حسنة، ويملأ الأرض عدلاً، كما ملئت جوراً، ويجاهد في سبيل الله، ثم ينزل المسيح الدجال في آخر عهد المهدي، وهو الفتنة الكبرى، والمصيبة العظمى، ثم ينزل المسيح ابن مريم عليه الصلاة والسلام ليقتل الدجال^(٤)، ويستريح المسلمون من شره، ثم يظهر يأجوج ومأجوج، فهذه العلامات الكبرى المتلاحقة، ثم يقبض الله أرواح أهل الإيمان، ولا يبقى إلا الأشرار، ولا يبقى من يقول: الله الله، ثم تقوم عليهم الساعة، والعباد بالله، قال ﷺ: «هين شرب الناس من قُدْرَتِهِمُ السَّاعَةَ وَهُمْ أَهْلُهَا»^(٥).

هذا ملخص لعلامات الساعة، ومنها: النار التي تسوق الناس إلى المحشر تبين معهم حيث باتوا وتقبل معهم حيث قالوا، وتسوقهم إلى ..

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٦٧).

(٣) أخرجه مسلم (٢٩٣٧).

(٤) أخرجه مسلم (٢٨٩٧).

التسريح

المحشر، وهي تار تخرج من فعر عدن كما في الحديث^(١)، فهذه علامات آخر بها النبي ﷺ وجاء ذكر بعضها في القرآن الكريم، ولكن متى تقوم الساعة بالتحديد هذا لا يعلمه إلا الله، فالذين يحسبون الحسابات الآن من الدجاجلة ويقولون: تقوم الساعة في سنة كذا أو في يوم كذا، فهذا كذابون ودجالون، لأنه لا يعلم وقت قيام الساعة إلا الله ﷻ، والملائكة لا يعلمون، والرسل لا يعلمون، فكيف يعلمها هؤلاء، هذا كله كذاب وتدجيل، وليس المهم أن تعلم متى تقوم الساعة، المهم أن تعمل لها، ولذلك لما سأل رجل النبي ﷺ: «متى الساعة؟» قال: «مَوْتَاؤُكُمْ أَقْبَضْتُ لَهَا»^(٢)، فالمدار على العمل، وليس المهم أن تعرف متى تقوم الساعة فهذا ليس لك فيه مصلحة، ولو كان فيه مصلحة ليته الله لنا، ولهذا فإن المشركين من شدة تحديقهم للرسول ﷺ وتكذيبهم له، يسألون الرسول إذا دعاهم إلى العمل الصالح وإلى الاستعداد للساعة قالوا: متى تقوم الساعة؟ والله يجيبهم: ﴿قُلْ إِنَّمَا يَلْتَمِسُ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ إِنَّمَا السَّاعَةُ كَالْإِبْرَةِ فِي السَّيِّئِ﴾^(٣)، فليس من مهمة الرسول أن يعلمهم قيام الساعة، وإنما مهمة الرسول أن يدعوهم إلى التوحيد والعبادة والعمل الصالح، وينهاهم عن الشرك والكفر والمعاصي، هذه مهمة الرسول ﷺ، قال تعالى: ﴿يَسْتَفْتِيكَ أَتَمَّ عَنْ أَتَمَّ قَوْلَ إِنَّمَا يَلْتَمِسُ بَعْضُكُم مِّنْ بَعْضٍ لَّكُم مِّنْ أَثَانَةٌ تَكُونُ لَكُمْ﴾^(٤)، الأعراب: ١٧٣، وقيام الساعة الكبرى يحصل على الناس جميعاً، وأما بالنسبة للأفراد فكل من مات فقد قامت قيامته، وحصلت ساعته، ومن مات انتهى من هذه الدنيا ودخل في البرزخ الذي بين الدنيا والآخرة، فالإيمان بقيام الساعة واليوم الآخر وبما في اليوم الآخر من جنة ونار ومن حساب وعقاب وموازن، وصحف الأعمال وإعطاء الناس صحفهم باليمين أو بالشمال، فهذا كله من

(١) أخرجه الترمذي (٢١٨٣).

(٢) أخرجه البخاري (٢٦٨٨).

الفتوح

= أمور القيامة وما يجري فيها، والصراط الذي على متن جهنم يمر عليه الخلق، كل هذا من أمور يوم القيامة التي يحجب الإيمان بها، ولا يجوز الشك في شيء منها، فالمشركون أنكروا البعث، وذلك لأنهم قاسوا قدرة الله على قدرتهم، فقالوا: كيف يموت الإنسان ويصير تراباً وربما تم بيعت وتذهب فيه الحياة مرة ثانية وحياتاً ذلك رجع بعيد، قالوا: ﴿لَا يَمْلِكُونَ كَيْدًا بِحَدِّ رَبِّكَ﴾ (الصافات: ١٦)، وقالوا: ﴿لَا يَمْلِكُونَ كَيْدًا بِحَدِّ رَبِّكَ﴾ (الأنعام: ١٦)، هذا منتهى عقولهم، ولو أن قدرة الله، وأن الله لا يحجزه شيء، والله - جلّ وعلا - رءٌ عليهم بأدلة في القرآن الكريم منها:

أن الذي قبر على بدارتهم قادر على إعادتهم، وهو مخلقهم من غير شيء، وأوجدتهم من عدم، فهو قادر على أن يعيدهم.

والله - جلّ وعلا - يحيي الأرض بعد موتها بالنبات، فكذلك البعث، قال تعالى: ﴿وَرَبِّكَ يُحْيِيهِ، اللَّهُ تَرَى الْأَرْضَ خَبِيثَةً فَإِنَّا لَنُؤْتِيكَ عَلَيْهَا ظِلًّا وَفَرَخًا وَجَنَّةً يَدْرَسُونَ﴾ (الأنعام: ٥٩)، فكما يُنبِت النبات من الأرض يُنبِت الأجسام أيضاً من ترابها، فالتراب الذي تحلّل يعيده الله ليخلق كما كان، قال تعالى: ﴿فَتَدْعُنَا مَا تَفْقَهُ الْأَرْضُ بِحَبِّهِمْ وَهُمْ لَمْ يُحْسِنُوا ظَنًّا﴾ (الأنعام: ٦٠)، قاله يعيدهم وإن كانوا قد تحللوا، وصاروا تراباً، فهذا التراب المتحلل من أجسادهم يعيده الله كما كان أجساماً متحركة حية سميعة بصيرة، فهو لا يحجزه شيء.

والله الذي خلق السموات والأرض، ليس قادراً على أن يعيد هذا الإنسان؟ هذا من باب أولى، قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ (الأنعام: ٨٧)، فالذي خلق السموات والأرض قادر على أن يعيد هذا الإنسان إلى الحياة كما كان.

فهذه أدلة قاطعة ذكرها الله في القرآن تدفع هؤلاء الكفرة، الذين أنكروا =

وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ يَشَاءُ^(١١)، كَمَا بَدَأَهُمْ يَوْمَئِذٍ^(١٢).
وَأَنَّ اللَّهَ شَهِيدُ كُلِّ عَمَلٍ^(١٣)، وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ

الشرح

= البعث وحضروا الله ﷻ عن أن يقرر عليه، تعالى الله عما يقولون.

وأما أهل الإيمان العالمون بقوة الله، فإنهم لا يشككون عليهم ذلك، ويؤمنون به تماماً بناء على غير الله ﷻ، وأن الله قادر على كل شيء، ﴿وَلَوْ كُنَّا كُنُفًا لَكُنَّا بِبَيْتِهِ لَا رَبَّ فِيهَا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ (الرحم: ١٧)، فإله يبعث من في القبور ولو صاروا تراباً ورميماً قال لا يعجزه شيء.

[١] أي: يُحيي من الموت للحساب والجزاء.

[٢] فكما بدأكم أول مرة تسمعون للحياة بإذن الله مرة أخرى كما كنتم، فالذي قدر على ابتدائكم قادر على إعادتكم من باب أولى، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحْيِيَهُمْ ثُمَّ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ﴾ (الزمر: ٢٦)، ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُحْيِيَهُمْ ثُمَّ يُنْفِخُ فِي الصُّورِ﴾ (الزمر: ٢٦).

[٣] ففي يوم القيامة يجزي الله ﷻ عباده على أعمالهم، ﴿وَلَا يَحْصِيهِ رَحْمَتُكَ﴾ (الكهف: ٢٨)، كَلَّ يُحَازِي بِعَمَلِهِ، إن خيراً فخير، وإن شراً فشر، فالؤمنون تضاعف لهم الحسنات التي عملوها في الدنيا، تضاعف لهم الفضل الله، ﴿وَمَنْ كَانَ يَأْتِيكَ مِنْ شَيْءٍ فَاعْلَمْ﴾ (الأنعام: ١١٠)، فتضاعف الحسنة إلى عشرة أضعاف وإلى سبعمئة ضعف وإلى أضعاف كثيرة لا يحصوها إلا الله، وهذا من فضل الله ﷻ، وإذا كان لهم سيئات دون الشرك ودون الكفر، فإن الله - جلّ وعلا - إما أن يعذبهم بها بقدرها، وإما أن يعفو عنهم، هذا لأهل الإيمان خاصة، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يَشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَٰكِنْ يَغْفِرُ مَا يُدْرِكُ الْإِيمَانَ﴾ (النساء: ٤٨)، فإما أن يغفرها لهم ويحسبها عنهم، أو يعذبهم بها في النار ثم يخرجهم منها إلى الجنة، هذا في الكبار التي دون الشرك، فالذنوب تنقسم إلى كبار وصغار، بدليل هذه الآية: =

وَصَفَحَ لَهُمْ بِالشُّؤْبَةِ عَنْ كِبَائِرِ السَّيِّئَاتِ^(١)، وَلَحَقَرَهُ لَهُمُ الصَّغَائِرُ
بِاجْتِنَابِ الْكِبَائِرِ^(٢)،

الشرح

﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا صَغَائِرَكُمْ مَا تُهَيِّزُ عَنْهُ كِبَائِرُكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَلْجِطُكُمْ فِيهَا كَرِيبًا﴾ (النساء: ٣١)، فالصغائر تكفر ولو لم يترك منها الإنسان، فتكفر باجتناب الكبائر، فمن تجنب الكبائر فإن الله يغفر له الصغائر، وتكفر الصغائر أيضاً بالأعمال الصالحة، قال ﷺ: «وَالْبُحْبُوحُ الْحَسَنَةُ تُنَحِّهَا»^(١)، وتكفر السيئات الصغائر أيضاً بالمصائب التي تصيب الإنسان في هذه الدنيا، قال ﷺ: «مَا يُعْبِثُ الْمُسْلِمَ مِنْ لُصْبٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا عَمٍّ وَلَا حَزَنٍ وَلَا أَقْبَى وَلَا عُمْ حَتَّى الشُّؤْبَةُ يُنَاقِهَا إِلَّا كَفَّرَ اللَّهُ بِهَا مِنْ خَطَايَاهَا»^(٢)، فالمصائب كفارات للعصم، وتكفر بمكفرات أخرى.

والكبائر يقولون في تعريفها: ما ترتب عليه حد في الدنيا كالزنا والسرقة وشرب الخمر أو عليه وعيد في الآخرة من غضب الله، والنار .. إلى غير ذلك، فعما عليه وعيد في الآخرة فهو كبيرة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى كُلُّهُمْ فِي سَاقٍ مُثْقَلَةٍ﴾ (النساء: ١٠).

فالكبيرة إما: ما عليه حد في الدنيا، أو وعيد في الآخرة، أو تحشم بلعنة الله أو غضبه، أو بالوعيد من النار والعذاب، وما عداها فهو من الصغائر، وتكفر بما سبق، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ كَلِمَةَ الرَّسُولِ وَلَا تَحِبُّوا الثَّمَنَ﴾ (النجم: ٣٢).

[١] قاله ﷺ إذا شاء غفر لهم، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَقْبِضُ أَنْ يَقْرَأَ بِهِ قَوْلُهُ مَا ذَكَرْتُمْ لَمْ يُشَاكَلْ﴾ (النساء: ٤٨).

[٢] قال تعالى: ﴿إِنْ تَحْتَسِبُوا صَغَائِرَكُمْ مَا تُهَيِّزُ عَنْهُ كِبَائِرُكُمْ عَنْكُمْ﴾

وَجَعَلَ مَنْ لَمْ يَثْبُتْ مِنَ الْكِبَائِرِ ضَائِرًا إِلَى مَشِيئَتِهِ^(١١)، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

وَمَنْ غَافِلَةٌ اللَّهُ يَتَارِكُ أَخْرَاجَهُ مِنْهَا بِإِيمَانِهِ، فَأَدْخِلُهُ بِهِ جَنَّتَهُ^(١٢) ﴿فَمَنْ يَسْكُنْ يَشْكُلْ دَارُؤُهُ خَيْرٌ بِرَبِّهِ﴾ (٥) ﴿الزُّبُر: ١٣٧﴾.....

الشرح

سَكَنَاتِكُمْ وَتَجَلَّيْتُمْ تَذَكَّرُوا كَرِيمًا ﴿٥﴾ (النساء: ٣٦)، فهذا أحد المكلفات للصائغ.

[١١] وتكلم الصائغ إلهياً بالتوبة، وإذا لم يثبت ومات مُضَرًّا عليها وهي دون الشرك فهو ضائر إلى مشيئة الله، ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ، وَيَغْفِرُ مَا دُونَهُ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء: ٤٨).

[١٢] ومن غافله الله على الكبائر في الآخرة فإن الله يترك يخرج من النار ويدخله الجنة، فمضيه إلى الجنة بإيمانه وتوحيده، وأما الكافر والمُشْرِك فلا طمع له في الجنة، ولا في رحمة الله - والعباد باطل - فلا يخلد في النار إلا المشركون والكفار، وأما عصاة المؤمنين فهم وإن دخلوا النار وعذبوا فيها فإنهم يُخرجون منها ويصبرون إلى الجنة فقول: (أخرجه منها بإيمانه) أي: بتوحيده.

[٣] قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَسْكُنْ يَشْكُلْ دَارُؤُهُ خَيْرٌ بِرَبِّهِ﴾ (٥) وَمَنْ يَسْكُنْ يَشْكُلْ دَارُؤُهُ شَرٌّ بِرَبِّهِ ﴿٦﴾ (الزُّبُر: ٧، ٨) فالإنسان يلاقي عمله خيراً كان أو شراً، لا يفعل منه شيء، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَكْلِمُ شَقِيقًا دَارُؤُهُ وَإِنْ كُنْ حَسَنَةً يَكْتُوبُهَا وَلَوْ بَيْنَ أُمَّةٍ أَلْمَزَ عَلَيْهَا﴾ (النساء: ٤٠)، أما السيئة فلا تضاعف، وإنما يجازى بمثلها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ كَفَرَ وَأَشْرَكَ كَفَرًا يَتَرَفَعُ إِلَى شَقَاتِهِ﴾ (الأنعام: ١٦٠)، ولا تضاعف؛ لأن هذا يخالف العدل من الله ﷻ أن يضاعف عليه السيئة وهو لم يعمل إلا سيئة واحدة، أو يغفرها الله له إذا كان مسلماً؛ لأن التعذيب على السيئة عدل من الله، ومضاعفة الحسنات فضل -

وَيُخْرِجُ مِنْهَا شَفَاعَةَ النَّبِيِّ ﷺ مَنْ شَفَعَ لَهُ مِنْ أَهْلِ الْكُفَّانِ مِنْ أُمَّتِهِ^(١)،
وَأَنَّ اللَّهَ شَاحِنُهُ قَدْ خَلَقَ الْجَنَّةَ فَأَعَدَّهَا دَارَ خُلُودٍ لِأَوْلِيَائِهِ^(٢)،

الشرح

« من الله ﷻ، تفصل به، ولكن السيئات لا تُضاعف ولكن قد تُغلظ بسبب حرمة الزمان، فإذا عصى الله في الوقت الفاضل؛ كشهر رمضان وأشهر الحج فقد تُغلظ عقوبته، ولا تُعَدَّد، أو لحرمة المكان، مثل البيعة في الحرم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُؤْمَرْ بِهِ بِالْحَكْمِ يُكَلِّمْ لِقَاءَهُ مِنْ تَلْكَ الْأَيَّامِ﴾ (الحج: ٢٥)، فالبيعة تُغلظ في الزمان الفاضل، وفي المكان الفاضل؛ لأنه انتهك الحرم.

[١] عصاة المؤمنين يخرجون من النار إما بفضل الله ﷻ، وإما بشفاعته الشافعين، وأعظم الشفعاء هو محمد ﷺ، فإن الله يُشَفِّعُهُ فِيمَنْ شَاءَ، إكراماً للشافعين ورحمة بالمشفوع، وكذلك شفاعته الصلوات، وشفاعة الأولياء والصالحين، وشفاعة الأفرط والأطفال الذين ماتوا صغاراً، كلهم يعطيهم الله الشفاعته يوم القيامة في أهل الإيمان الذين دخلوا النار أن يخرجوا منها والذين استحقوا دخولها أن لا يدخلوها، يشفعون فيهم فيُخرجهم الله من النار، والشفاعة لها شرطان:

الشرط الأول: أن تكون بإذن الله، قال تعالى: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ (البقرة: ٢٥٥).

الشرط الثاني: أن يكون المشفوع فيه من أهل الإيمان، أما الكفار والمشركون فلا تنفعهم شفاعته الشافعين، قال تعالى: ﴿لَا يَشْفَعُونَ فِي الْكَافِرِينَ مِنْ جَمِيعٍ وَلَا شَيْعٍ يُطَافُ﴾ (عنصر: ١٨)، وقال تعالى: ﴿لَا تَقْبَلُهُمْ خِشْيَةُ كَذِبِينَ﴾ (البقرة: ٢٤).

[٢] من أمور الآخرة الجنة والنار، النار أعدّها الله للكافرين، والجنة أعدّها الله للمؤمنين، وهما مخلوقتان الآن، ولا يتأخر خلقهما إلى يوم القيامة كما يفعله أهل الضلال، وإنما هما مخلوقتان الآن، لأن الله قال: ﴿أَلَمْ يَكُنْ﴾ «

وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ^(١٧).

الشرح

= وهذا فعل ماضٍ فيدل على أنها شُعِدَ ومخلوقة، وما يدل على هذا أيضاً ما جعل الله للجنة من نفس يجده المؤمنون في الدنيا بالروائح الطيبة، وكذا النار وما يجده المؤمنون من شدة الحر والبرد، كما قال النبي ﷺ: «هَيْئَةُ الْفَرَسِ مِنْ نَجِجٍ جَهَنَّمِ»^(١٨)، فالأدلة تدل على وجود الجنة والنار الآن.

وقوله: (فَأَصْدَعَا دَارَ غُلُوْدٍ لِأُولِيَاءِهِنَّ)، قال تعالى: ﴿وَكَايَلُنَا إِلَٰهًا تَسْبِيحُهُ تَبَارَكُ تَرْتِجُهُمْ وَجَنُودُهُمْ خَبَرُهَا التَّنْمُوتُ وَالْأَرْضُ أَلْبَدُتْ فَتَشْفَعُ﴾^(١٩) (ال صسران: ١٧٣)، وأولياء الله هم: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَصَلُّوا يَتْلُونَ﴾^(٢٠) (يونس: ٦٤).

[١٧] قوله: (وَأَكْرَمَهُمْ فِيهَا بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِهِ الْكَرِيمِ) أي: وما أكرم الله به أهل الجنة، بل أعظم ما يكرم الله به أهل الجنة النظر إلى وجهه الكريم، لما آمنوا به في الدنيا ولم يروه، فإن الله ينجلي لهم يوم القيامة في الجنة ويرونه، ونظر أحبهم يرونه، قال ﷺ: «إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ قَبْلَ أَنْ تَرَوْا الْقُسُوفَ لَا تَفْشَاوْنَ فِي رُؤُوسِهِ»^(٢١)، وفي رواية سنن ﷺ: «يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ تَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟» فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَعَلَّ تَفْشَاوُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ قَوْلُهَا شَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «أَعَلَّ تَفْشَاوُونَ فِي الظُّمْرِ لَيْلَةُ الْقَبْرِ لَيْسَ قَوْلُهَا شَحَابٌ»، قَالُوا: لَا يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْلِيلَكُمْ»^(٢٢)، إكراماً لأهل الإيمان الذين آمنوا به في الدنيا ولم يروه، وإنما آمنوا به بالأدلة القاطعة التي دلت عليه ﷺ، وبأخبار الرسل وبالآيات القرآنية والآيات الكونية، فالله يكرمهم يوم القيامة بأن يروه، أما في الدنيا فلا أحد يراه لأن بني آدم لا يقدرون على رؤية الله ﷻ لعظمته ﷻ، لا أحد في هذه الدنيا يقدّر على رؤية الله حتى الرسول ﷺ لما أخرج به، وقرب من الله قبل =

(١٧) أخرجه البخاري (٥٣٥).

(١٨) أخرجه البخاري (٥٣٥).

(١٩) أخرجه البخاري (٦٥٧٣).

وهي التي أُمِيطَ بِهَا أَدَمُ نَبِيَّةً^(١) وَخَلِيفَةً إِلَى أَرْضِهِ^(٢)، بِهَا سَبَقَ فِي سَابِقٍ جُلُوبُ.

الشرح

له: قُلْ رَأَيْتَ رُبُّكَ؟ قَالَ: فَنُورٌ أَمَّا لِرَبِّهِ^(٣)، يعني: أن حجاب النور ظم براءه، ولا يراه أحد في هذه الدنيا، أما في الآخرة فإن الله يُكْرِمُ أَعْلَى الْإِيمَانِ ويعطيهم قوة على رؤيته، أما في الدنيا فلو تجلّى لأحد منهم لهلك؛ ولهذا فإن موسى ﷺ لما جاء إلى ميقات ربه وكَلَّمَهُ ربه، قَالَ: ﴿رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ بِالنَّجْمِ﴾، لأنه اشتاق إلى ربه، ﴿قَالَ لَنْ رَأَيْتَ﴾؛ يعني: في الدنيا، ﴿وَلَكِنْ أَنْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنَّ اسْتَفْرَقَ فَتَوَدَّ رُبُّهُ فَلَمَّا بَلَغَ رُؤْؤَهُ بِجَنَّتَيْهِ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُمَا الصَّبَاجَ الْمَصْبُورَ وَصَارَ تَرَاباً مِنْ عِطْمَةِ اللَّهِ ﷻ﴾، ﴿وَوَسَّخَ مُوسَى سَيْفَهُ﴾ [الأعراف: ١٤٣]؛ يعني: غشي عليه ﷻ من شدة الهول، مع أنه لم يَرِ ربه؛ فإنه أراد أن يُبَيِّنَ له أنه لا يراه في هذه الدنيا، ولا يستطيع رؤيته. وأما الكفار فلما كفروا به في الدنيا، وكذبوا بآياته حججهم الله عن رؤيته يوم القيامة، قَالَ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا -: ﴿لَا يَتَّبِعُنَّ عَنْ رُؤْيَى رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [التكوير: ١٥]، إعانة لهم، فلا يرون ربه؛ لأنهم جعلوا به في الدنيا وكفروا به، فإنه - جَلَّ وَعَلَا - حرمهم من رؤيته يوم القيامة.

[١] هل هذه الجنة هي التي أسكنها الله آدم؟ أو هي جنة أخرى؟ على قولين، والصحيح أنها الجنة التي أخبر الله عنها، قَالَ المؤلف: (وهي الجنة التي أُمِيطَ الله منها آدم نَبِيَّةً) لأن آدم نبيٌّ مُكَلِّمٌ.

[٢] هذه فيها نظره: لأن الله ليس له خليفة، بل الله هو الخليفة، كما قال النبي ﷺ في دعاء السفر: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السُّفَرِ وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ»^(٤)، فإنه لا يستخلف أحداً نيابة عنه، وإنما البشر يخلف بعضهم بعضاً، قَالَ تعالى: ﴿وَوَعَدَ الرَّبِّي جَنَّاتُكُمْ مُتَّكِفَةً﴾ [الأنعام: ١٦٥]؛ يعني: يخلف =

(١) أخرجه مسلم (٧٧٨).

(٢) أخرجه مسلم (١٣٤٦).

وَلَخَلَقَ النَّارَ فَأَعَدَّهَا قَارِ خُلُودِ لِمَنْ يَخْذَرُ بِهِ وَالْحَدَّ فِي آيَاتِهِ وَتَحْتِهَا
وَرُسُلِهِ، وَجَعَلَهُمْ مَخْجُوبِينَ عَنْ رَأْيِهِ^(١).

بعضكم بعضاً، أما قوله تعالى: ﴿إِن يَخَافُ فِي الْأَرْضِ خَلْقَةً﴾ (البقرة: ١٣٠) يعني: يخلف من قبله في الأرض، وليس يخلف الله ﷻ، إلا إن كان المصنف يظنُّ يريد بخلقته هنا ما ذكره الله في قوله: ﴿إِن يَخَافُ فِي الْأَرْضِ خَلْقَةً﴾ فاستخدم عبارة الآية؛ يعني: جعله خليفة من قبله من سكان الأرض.

(١) الإیمان بالیوم الآخر يتضمن کل ما یجرى فیہ، مما ذکرہ اللہ فی کتابہ أو ذکرہ الرسول ﷺ فی شئ، فیحجب علینا أن نؤمن بکل ما یجرى فی الیوم الآخر من الأحوال، ونؤمن بأن الجنة خلقها اللہ - جلّ وعلا - وأعدّها لعباده المحققین المؤمنین، قال تعالى: ﴿وَنُفِثَ الرُّوحُ نَافِثًا وَكُنُفُوا فَاصْتَبْنَا لِرَبِّکُمْ الْقَائِمَةَ﴾ (البقرة: ٢٥)، هذه دار المؤمنین یوم القيامة، وهي دار مؤبدة لا یخرجون منها ولا یموتون ولا یمرضون، ولا یهرمون، ولا یصیبههم فیها مکررة، بل فیها نعيم دائم ومستمر.

ومما يكون في الآخرة: النار التي خلقها الله وأعدّها للكافرين، قال تعالى: ﴿إِنْ لَمْ تَقْعُولُوا أَمْرًا نَحْنُ بِأَعْلَمَ بِكُمْ فَأَلْهَمْنَا الْكَافِرَ أَنْ يَخْلُقَ نَارًا تَأْكُلُ أُنُفُسَهُ وَالْجَسَدَ أَهْلَكَ أَهْلَكَ﴾ [البقرة: ٢٤] فالجنة والنار مخلوقتان الآن، بدليل قوله: ﴿أَهْلَكَ﴾ فعل ماضٍ لا أنها تُخلق يوم القيامة، فكلاهما قد أُعدت، الجنة أعدت للمؤمنين، والنار أعدت للكافرين، ومما يدل على وجود النار أن النبي ﷺ قال: «وَأُفْتَحَتِ النَّارُ إِلَى رَبِّهَا فَلَا تَلْقَى بَا رِبَّ أَكْفَلْ يَنْفَعِي بَعْضًا فَأُولَئِكَ لَهَا يَنْفَعِينَ نَفْسِي فِي الشَّيْءِ وَنَفْسِي فِي الْعَذَابِ لَهَوُ أَشَدُّ مَا نَحْبُوتُ مِنَ الْخَرِّ وَأَشَدُّ مَا نَحْبُوتُ مِنَ الزَّمْهِرَةِ»^(١)، فدل هذا على أنها موجودة وتعدّه ومهيأه الآن.

٤٥٣ رقم من المجلد (١٩٧٧)

وَأَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالْمَلَكُ صَفًا
لِعِزِّهِ الْأَمْنِ وَجَنَابِهَا وَهَقُورِهَا وَتَوَاضُعِهَا^(١).

الشرح

والإيمان بالجنة والنار داخل في الإيمان باليوم الآخر، كما في الحديث: «مَنْ شَهِدَ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَنَّ يَسَى عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ وَكَلِمَةُ اللَّهِ إِلَى مَرْثَمٍ وَدُورٍ بِهِ، وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ أَفْعَلَهُ اللَّهُ الْجَنَّةَ عَلَى مَا كَانَ مِنَ الْعَقْلِ»^(٢)، الشاهد في قوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ»، فدل هذا على أنه يجب الإيمان بالجنة والنار ولا يكفي أن تؤمن بالجنة والنار؛ بل لا بد أن تعمل الأعمال التي تسبب لك دخول الجنة، وأن تجتنب الأعمال التي تسبب لك دخول النار.

(١) ومما يكون في يوم القيامة ويجب أن تؤمن به أن الله يجيء المصطفى القضاء بين عباده، يأتي، قال تعالى: ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي بَايَعْتُمْ آلَ مُوسَى أَن يَقُولُوا إِنَّا بِأَلَيْهِمْ أَعِثٌّ﴾ (النساء: ٦١)، وقال: ﴿إِنَّمَا أَكْفَى الْمَرْءَ نَفْسَهُ﴾ (النساء: ٦٢)، وفي قوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ»، فدل هذا على أنه يجب الإيمان بالجنة والنار ولا يكفي أن تؤمن بالجنة والنار؛ بل لا بد أن تعمل الأعمال التي تسبب لك دخول الجنة، وأن تجتنب الأعمال التي تسبب لك دخول النار.

(٢) ومما يكون في يوم القيامة ويجب أن تؤمن به أن الله يجيء المصطفى القضاء بين عباده، يأتي، قال تعالى: ﴿عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَنِّي بَايَعْتُمْ آلَ مُوسَى أَن يَقُولُوا إِنَّا بِأَلَيْهِمْ أَعِثٌّ﴾ (النساء: ٦١)، وقال: ﴿إِنَّمَا أَكْفَى الْمَرْءَ نَفْسَهُ﴾ (النساء: ٦٢)، وفي قوله: «وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ»، فدل هذا على أنه يجب الإيمان بالجنة والنار ولا يكفي أن تؤمن بالجنة والنار؛ بل لا بد أن تعمل الأعمال التي تسبب لك دخول الجنة، وأن تجتنب الأعمال التي تسبب لك دخول النار.

الشرح

ما يأخذ بحسب أعمالهم، فيصيبهم شدة وهول، قال تعالى: ﴿فَنُرِجُهُمْ فَبَاحِجَةً وَالْوُجُوهَ إِلَىٰ يَوْمِ كَذَّابُنَا فَحَبَّيْنَاهُ أَفْكَ سَكْوًا ۝ كَثِيرٌ مِّنْكَ خَبِيلًا ۝﴾ (المعارج: ٤، ٥)، في مدة خمسين ألف سنة وهم واقفون في شدة الحر والزرحة، القدم على القدم، الأولون والآخرون، عند ذلك يتقدمون إلى من يشفع لهم عند الله لفصل القضاء بينهم، وإراحتهم من المحشر، فيأتون إلى آدم عليه السلام أي البشرية ويقولون: «أنت أبو الناس خلقك الله يتيماً وأسجد لك ثلاثمائة وخمسة عشر ألف سنة فاشفع لنا عند ربك حتى نبرأ»، فيذكر آدم عليه السلام ما حصل منه من الأكل من الشجرة فيعذر، فيأتون إلى نوح عليه السلام أول رسول إلى أهل الأرض، فيطلبون منه الشفاعة عند الله، فيعذر بأنه راجع الله في ابنه، ﴿وَكَانَ نُوْحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَكْرَمُ الْمَوْلُودِينَ ۝﴾ (هود: ٤٥)، فقال الله - جلَّ وعلا -: ﴿إِنَّكَ لَبَرٌّ عَلَىٰ بَيْنِ أَهْلِكَ بِمَا عَمِلَ فَرَّ حَتَّىٰ لَا تُلَاقِيَنَا إِنِّي فَتَىٰ بِكَ يَوْمَ تَأْتِي بَيْنَهُم مِّنْ أَهْلِكَ ۝﴾ (هود: ٤٦)، فاستغفر نوح عليه السلام ربه، قال: ﴿رَبِّ إِنِّي أُوْذِيَ بِنَاثِرٍ أَن تَشْهَدَ أَنَّ ابْنِي مِن أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ لَحَقُّكَ وَأَنْتَ أَعْلَمُ بِمَا نَعْمَلُ وَلَا تُفَرِّقْ بَيْنَ الرَّحْمَتَيْنِ أَسْأَلُكَ بِرَحْمَتِكَ يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ ۝﴾ (هود: ٤٧)، فيعذر منهم، فيذهبون إلى إبراهيم عليه السلام أي الأنبياء، ويطلبون منه الشفاعة، فيقول لهم: «إنَّ رَّبِّي قَدْ عَلِمَ الْيَوْمَ غَضَباً لَّمْ يَلْغُظْ قَبْلَهُ بِقُلَّةٍ وَلَمْ يَلْغُظْ بَعْدَهُ بِقُلَّةٍ وَإِنِّي قَدْ كُنْتُ مَخْذُوتٌ ثَلَاثَ مَخْذُوتَاتٍ نَفْسِي نَفْسِي أَفْعَبُوا إِلَيَّ غَيْرِي أَفْعَبُوا إِلَيَّ مُوسَى»، فيأتون موسى عليه السلام، ويقولون: «يَا مُوسَى أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ لِيُخْرِجَهُمْ مِنْ بَنَاتِهِ وَيُخْلِّصَهُمْ عَلَى النَّاسِ انْشَقَّ لَنَا إِلَى رَبِّكَ الْآخِرَىٰ إِلَى مَا نَحْنُ بِهِ»، فيعذر ويقول: «إِنَّ رَّبِّي قَدْ عَلِمَ الْيَوْمَ غَضَباً لَّمْ يَلْغُظْ قَبْلَهُ بِقُلَّةٍ وَلَمْ يَلْغُظْ بَعْدَهُ بِقُلَّةٍ وَإِنِّي قَدْ قُلْتُ لَنَسَا لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا نَفْسِي نَفْسِي أَفْعَبُوا إِلَيَّ»

وَتَوْضِعُ الْمَوَازِينُ نَوَازِنَ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْلِفُونَ^(١).

الشرح

«خبرني أنفقوا إلى عيسى ابن مريم»، فباتون إلى عيسى ويقولون: «يا عيسى
أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وذو نجبته وكلمت الناس في الشهادة
ضبطاً فشفع لنا إلى ربك ألا نرى إلى ما نحن فيه»، فيعذر عيسى ويقول: «إن
ربي له حبيب اليوم غضباً لم يَغضَبْ قَبْلَهُ بَعْدَ لَعْنٍ يَلْعَبُ بَعْدَهُ بَعْدَهُ - وَلَمْ
يَذْكُرْ قَبْلَهُ - نفساً نفساً أنفقوا إلى خبري أنفقوا إلى تحمدي»، فباتون
محمداً ﷺ، ويطلبون منه الشفاعة إلى ربهم لينصل بينهم، فيقول ﷺ: «أنا
لهاء»، ثم يأتي ويسجد لربه ويدعو الله، ويحمده بمحامد ولا يزال ساجداً بين
يدي ربه، حتى يقال له: «يا محمد ارفع رأسك سل تسعة وتسعة تسفع»^(٢)،
تسفع ﷺ فيهم.

[١] كذلك مما يجب الإيمان به من أمور يوم القيامة: الموازين، وهي
موازين الأعمال، كما أخبر الله بذلك بقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا بِرَبِّهِمُ الْحَقَّ مِمَّنْ ثَقُلَتْ
مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُخْلِفُونَ﴾^(١) وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرًا أَنفُسُهُمْ
بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ (الأعراف: ٨، ٩)، وفي الآية الأخرى: ﴿وَمَنْ
خَفَّتْ مَوَازِينُهُ، فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَيْرًا أَنفُسُهُمْ فِي جَهَنَّمَ خَيْرًا مِنْ أَلْفِ مَوْسُونٍ﴾^(٣) (الموسنون: ٤١٠٣)،
نسأل الله العافية.

وذلك أنه يكون هناك ميزان له كفتان ولسان، ثم توضع الحسنات في
كفة، وتوضع السيئات في كفة، فإن رجحت حسناته دخل الجنة، وإن رجحت
سيئاته دخل النار، وهذا من عند الله ﷻ، وأنه لا يقلم أحداً.

فيجب الإيمان بهذا الميزان وأنه ميزان حقيقي، وأنه توزن فيه الأعمال =

(١) أخرجه البخاري (١٧١٧)، (٧٢١٠).

وَيُوزَنُ صَحَافُهُمْ بِأَعْمَالِهِمْ^(١١).....

الشرح

= كما أخبر الله، وأخبر رسوله ﷺ^(١٢).

والمعتزلة يقولون: هو ميزان معنوي وليس ميزاناً حقيقياً، وإنما هو كتابة عن إقامة العدل يوم القيامة؛ فهذا كلام باطل ونأويل فاسد، ولا يجوز تحريف النصوص الصريحة الصحيحة عن معانيها، وإذا أولوها وصرفوها، فهذا ليس من الإيمان؛ لأن الإيمان أن تؤمن بما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ على حقيقته.

فالموازن حق وتوزن فيها الأعمال يوم القيامة، قال تعالى: ﴿فَإِنَّكَ سَبَّحْتَ بِكُورَيْتِهِ^(١٣) فَهُوَ فِي يَتْرِكَ زَيْجِهِ^(١٤) وَأَنَا مَنَ خَلَقْتُ كُورَيْتَهُ^(١٥) فَأَتَتْهُ حُسُوبُهُ^(١٦) وَآتَا أَرْزَاقَهُ مَا يَدْرِي^(١٧) نَدْرُ كَيْفَتَهُ^(١٨)﴾ [القدر: ٦ - ١١]، هذا هو الميزان، وهو ما توزن به الأعمال؛ خبرها وشرها.

[١] وكذلك مما يكون في يوم القيامة إعطاء الصحف للناس، وهي صحائف الأعمال؛ لأن أعمالنا تكتبها علينا الملائكة، قال تعالى: ﴿وَيَقْرَأُ الْكَلِمَاتِ عَلَى الْقَبْرِ ذِكْرًا لِّعِبَادِنَا الَّذِينَ يَخْلُقُونَ أَفْئِدَةً بِغَيْرِ عِلْمٍ لِّأُولَئِكَ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ^(١٩)﴾ [١٨، ١٧]، فهم يكتبون ما يصدر عنا من الأعمال والأقوال، ويسجلونه في صحائف، وهذه الصحف تُعطى لأصحابها يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيُحْضَرُ لَهُ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ حُجَّتُهُ فِي شَكْوَاهُ^(٢٠) وَيُفْرَغُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُجَّتُهُ بِكُتُوبِهِ^(٢١)﴾ [١٨، ١٧]، ويفرغ من كان يقرأ في الدنيا ومن لم يكن يقرأ، ليعرف عمله وجزاءه، فمنهم من يؤتى كتابه باليد اليمنى [كراماً له فيفرح]، ومنهم من يؤتى كتابه بشماله - والعياذ بالله - فيحزن عند ذلك، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَن لَّمْ يَأْتِ بِكِتَابٍ يَسْبِقْهُ^(٢٢) فَبُذِلَ عَنْ أَكْبَادِهِ^(٢٣)﴾ =

(١) أخرجه أبو داود (١٧٥٧ - ١٨٠١)، والترمذي (٢٠٠٣ - ٢١٣٣).

وَأَنَّ الصِّرَاطَ حَقٌّ، يَخُورَةُ الْعِبَادَ بِقَدْرِ أَعْمَالِهِمْ، فَتَأْجُونَ مُتَقَاتُونَ فِي سُرْعَةِ النَّجَاةِ عَلَيْهِ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، وَقَوْمٌ أَوْقَفْتُهُمْ فِيهَا أَعْمَالُهُمْ^(١).

الشرح

«يَكُنْ كُنْ فِي كَلْبِهِ تَتَبَّعًا» (الاستطاف: ١٠ - ١٣) أي: مسروراً في الدنيا بملذاتها وشهواتها ونسي الآخرة ولم يعمل لها، فهذه من أحوال الناس يوم القيامة، ومن أحوال يوم القيامة، وستلاني هذه الشدائد حلقاً بلياً.

[١] كذلك مما يكون من أمور الآخرة وشدائدها وأموالها أنه يُنصب صراط، أي: جسر على متن جهنم، أدق من الشعر وأحد من السيف، ثم يمر الناس عليه على قدر أعمالهم؛ فمنهم من يمر كالبرق الخاطف، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالفرس الجواد، ومنهم من يعدو عدواً على قدميه، ومنهم من يمشي مشياً، ومنهم من يزحف زحفاً، ومنهم من يُخطف فيلقى في جهنم، قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌكَ لِّلْعَصَاةِ أَصْحَابِهَا الَّذِيْنَ كَانُوا يَسْتَعْجِلُونَ سَوَاءٌ يَكُونُ عَنْ يَمِينِكَ أَمْ يَكُونُ عَنْ شِمَاكَ أَمْ يَكُونُ عَنْ يَدَاكَ أَمْ يَكُونُ عَنْ سَائِرِ أَعْيُنِنَا﴾ يعني: النار، وهذا هو المرور على الصراط، فليس هناك أحد إلا ويمر على الصراط: المؤمن والكافر، يمرّون على هذا الصراط، ﴿كَانَ عَلَى رَأْسِهِ سِتْرٌ مِّنَ النَّارِ﴾ ثم تَبَيَّنَ الْيَقِينُ فَتَقَرَّرُوا وَتَكَرَّرُوا بِمَا يَكُونُ مِنْ يَمِينِكَ أَمْ يَكُونُ مِنْ شِمَاكَ أَمْ يَكُونُ مِنْ يَدَاكَ أَمْ يَكُونُ مِنْ سَائِرِ أَعْيُنِنَا، فالمرور على الصراط مما يكون في يوم القيامة.

فقله: (وأن الصراط حق)، أي: يجب الإيمان به، بدليل هذه الآية: ﴿يَكُنْ يَكُنْ لَا وَرَيْفَ﴾ هذا وعد من الله ﷻ أن كل الخلق يُردون النار، والمنقون ينجون منها؛ لأن معهم أعمالاً تحمّلهم، والكافرون يقعون فيها؛ لأنهم ليس لهم أعمال صالحة تحمّلهم على الصراط.

وَالْإِيمَانُ بِحَوْضِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَرَدُّدُهُ أَثْمَةً لَا تَقْلَمُ مَنْ شَرِبَ مِنْهُ، وَيُذَادُ عَنْهُ مَنْ بَدَّلَ وَغَيْرُهَا^(١).

وَأَنَّ الْإِيمَانَ قَوْلٌ بِاللِّسَانِ، وَإِخْلَاصٌ بِالْقَلْبِ، وَعَمَلٌ بِالْجَوَارِحِ، يَزِيدُ بِزِيَادَةِ الْأَعْمَالِ، وَيَنْقُصُ بِنَقْصِهَا، قَبْحُونَ فِيهَا النَّقْصَ وَبِهَا الزِّيَادَةُ^(٢).

الشرح

[١] مما يكون في الآخرة حوض النبي ﷺ، تَرَدُّدُهُ أَمْتُهُ فَيَسْقِيهِمْ ﷺ يَدُهُ، وهذا الحوض طوله مسافة شهر وعرضه مسافة شهر، ماءه أشدَّ بياضاً من اللبن وأحلى من العسل، وأتته عدد نجوم السماء يشربون منه، فمن شرب منه شربة واحدة لم يظمأ بعدها أبداً، ولكن هناك ناس يردون عليه ويظردون - والعياذ بالله - يعرفهم الرسول ﷺ، فيقول: «يَا رَبِّ أَصْحَابِي»، فيقال له: «لَا تُقْرِبِي مَا أَخَذْتُمَا بِغَدَاكُ»^(١)، فاعمل الردة والكفر والشرك والتفاني يُظردون عن الحوض يوم القيامة، ولا يردّه إلا أهل الإيمان الصادق الذين شربوا على إيمانهم، هم الذين يردون الحوض على النبي ﷺ، ويشربون منه.

[٢] من عقيدة أهل السنة والجماعة أن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح، وأنه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية، هذا هو تعريف الإيمان عند أهل السنة والجماعة.

فهو قول باللسان: بأن تنطق بالشهادتين والذكر والسيح والتهليل والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتعليم وغير ذلك من الأعمال القولية، وهي كثيرة، ولا يكفي القول باللسان؛ لأن المنافقين يقولون بالسنتهم: ﴿وَمَنْ يَلِكُ وَتُؤْمِرُ وَيَأْمُرُ لَمْ يَمُؤَرْ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمُؤْ بِلِسَانِهِ وَهُمْ فِي آلْقُلُوبِ كَافِرُونَ﴾ (النور: ١٥)، فإن كان القول باللسان فقط، فليس هذا هو الإيمان، وكذلك ليس الإيمان هو الاعتقاد =

(١) أخرجه البخاري (١٧٤٠).

(7a) *John is a doctor.*

(7) $\alpha \in \mathcal{A}$ and $\beta \in \mathcal{B}$ are $\mathcal{A}$ -equivalent

وَلَا يَكْمُلُ قَوْلُ الْإِيمَانِ إِلَّا بِالْعَمَلِ^(١)، وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ إِلَّا بِبَيْنِهِ^(٢)،
وَلَا قَوْلٌ وَعَمَلٌ وَبَيْنُهُ إِلَّا بِمُوافَقَةِ الشُّعْثَةِ^(٣).

الشرح

«إيمان»^(١)، فيكون الإيمان مثقال حبة من خردل، وهذا أقل شيء، ولكن الله يُنجي صاحبه يوم القيامة من النار بإيمانه ولو كان قليلاً، فدل على أن الإيمان يزيد وينقص، يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، فكلما أطعت الله زاد إيمانك، وكلما عصيت الله نقص إيمانك.

والزيادة والنقص في الإيمان يكونان بالأعمال، فإن كثرت الأعمال الصالحة زاد الإيمان، وإن نقصت نقص الإيمان.

(١) الإيمان يكون إيماناً كاملاً ويكون إيماناً ناقصاً، وكمال الإيمان على نوعين: كمال واجب أو كمال مستحب.

(٢) لا بد في القول والعمل أن يكون نية، أما بدون نية فلا يعتبر، قال ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى^(١)»، من قال كلمات طيبة ولكنه لم ينو فليس له شيء، وكذا من عمل عملاً بدون نية كأن صلى تطوعاً وصام وتصدق وليس له نية؛ هذا ليس له أجر؛ لقوله ﷺ: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ وَإِنَّمَا لِكُلِّ امْرِئٍ مَّا نَوَى».

(٣) ثم أيضاً لا بد من موافقة الشُّعْثَةِ، فمن قال قولاً أو عمل عملماً يخالف الشُّعْثَةَ فإن قوله وعمله باطل ولا اعتبار له؛ حتى يعمل بشُّعْثَةِ الرسول ﷺ. ولذلك من العلماء من يقول: إن الإيمان قول باللسان واعتقاد بالقلب وعمل بالجوارح مع موافقة الشُّعْثَةِ، يخرج بذلك المبتدعة، فالمبتدعة ليس عندهم إيمان، إما ليس عندهم إيمان أصلاً، وإما عندهم إيمان ناقص بنقص البدع، لسأل الله العافية.

(٢) أخرجه البخاري (١).

(١) أخرجه البخاري (٢٢).

وَأَنَّهُ لَا يَكْفُرُ أَحَدٌ بِذَنْبٍ مِنْ أَهْلِ الْفِيلَةِ^(١).

التشريح

[١] هذا أصل من أصول أهل السُّنة والجماعة، أن ما دون الشرك من الذنوب والمعاصي أنه محرم وفيه وعيد ولكن لا يصل صاحبه إلى حد الكفر وهو الخروج من الملة، ما دام أنه يشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ويقيم الصلاة ويؤتي الزكاة، ويصوم رمضان، ويحج البيت، فإنه إذا حصل منه قلب دون الشرك ودون الكفر، فإنه ينقسم إلى قسمين: إما كباثر وإما صغائر، وعلى كُلٍّ فالكبيرة والصغيرة دون الشرك لا تقضي الكفر المخرج من الملة، فقد تسمى كفرة أصغر، أما أنها تخرج من الملة فهذا إما يكون عند الخوارج الذين يكفرون المسلمين بالكباثر ويحكمون على مرتكبي الكبيرة بالخلود في النار، وهو مذهب باطل؛ ولذلك يكفرون أهل السُّنة ويقائلونهم ويستحلون دماءهم وأموالهم بناء على مذهبهم، وأما أهل السُّنة والجماعة فيقولون: المعاصي تقضي الإيمان ولكنها لا تخرج من الملة، كما دلت على ذلك الأدلة من الكتاب والسُّنة.

وقابل الخوارج المرجئة الذين يقولون: إن الإيمان هو التصديق بالقلب، فما دام أنه مصدق بقلبه فهو مؤمن، والعمل لا يدخل في حليقة الإيمان فإنه لا تضره المعصية، فضلاً عن أنه يكفر بها، يقولون: لا يضر مع الإيمان معصية كما لا يتنفع مع الكفر طاعة، أما أنه لا يتنفع مع الكفر طاعة فهذا صحيح، أما أنه لا يضر مع الإيمان معصية فهذا خطأ، فالمؤمن تضره المعصية، وإن كانت لا تخرجه من الملة، ولكنها تضره فقد يُعَذَّب بها في النار، فأصحاب الكباثر عند أهل السُّنة والجماعة إن تابوا منها تاب الله عليهم، وإن لم يتوبوا فهم تحت المشيئة إن شاء الله غفر لهم، وإن شاء عذبهم بقدرها. ثم يُخرجون من النار، وقد يقولون في النار مدة طويلة، ولكنهم يخرجون منها بإذن الله، إما بشفاعة الشافعين، وإما بانتهاء مدة عذابهم، وإما برحمة الله، فمآلهم إلى الجنة كما دلت على ذلك الأدلة الصحيحة، والله - جلَّ -

وَأَنَّ الشُّهَدَاءَ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ^(١)

الشرح

«وعلا - قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَمُوتُ أَنْ يَمُوتَ بِهِ وَيَتَرَكَّ مَا كُنَّ تَحْتَهُ مِنْ شَيْءٍ﴾ (النساء: ٤٨)، فمترتكب الكبيرة دون الشرك تحت المشيئة: إن شاء الله عقر له، وإن شاء عذبه بها، ثم يدخله الجنة، وقد نصبه مصائب في الدنيا وقد يُعاقب بمعصيته، فالمعصية تضر وتُنقص الإيمان فلا يتهادون بها، ولكنها لا تصل إلى قول الخوارج إنه يكفر، وإنه يُخلَّد في النار، فكلا المذهبين باطل، ومذهب أهل السنة والجماعة هو الوسط بين المذهبين الباطلين وحق بين غيلاطين، فالخوارج أخذوا بنصوص الوعيد، وقالوا بإنفاذ الوعيد، والمرجئة أخذوا بنصوص الوعد، وأهل السنة والجماعة أخذوا بالأمرين: أخذوا بنصوص الوعيد وبنصوص الوعد، وقالوا: هذا راجع إلى مشيئة الله ﷻ، ولكن قول المصنف: لا يكفر بذنب ليس على إطلاقه، فهناك ذنوب يكفر بها مثل: ترك الصلاة، فمن ترك الصلاة متعمداً فإنه يكفر به بدليل الأحاديث، مثل قوله: «الشَّهَدُ الَّذِي بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمُ الصَّلَاةُ، فَمَنْ تَرَكَهَا فَقَدْ كَفَرَهُ»^(٢)، وقوله: «إِنَّ بَيْنَ الرَّجُلِ وَبَيْنَ الشُّرْكِ وَالْكُفْرِ تَرْكُ الصَّلَاةِ»^(٣)، فترك الصلاة يكفر به.

وقوله: (من أهل القبلة) يعني: من المسلمين الموحدين، الذين يصلُّون إلى الكعبة، فالكعبة قبلة المسلمين.

(١) من أصول أهل السنة والجماعة أن الشهداء وهم الذين قتلوا في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، أنهم وإن ماتوا في الدنيا وانتهت حياتهم من الدنيا إلا أنهم أحياء في البرزخ (أحياء عند ربهم يرزقون) قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْزَنُوا الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَمْواتًا عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾ (آل عمران: ١٦٩)، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْواتًا بَلْ أَمْواتًا وَلَٰكِنْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ (البقرة: ١٨٥) أي: لا تشعرون بحياتهم، لأنها حياة برزخية ومن أمور «

(٢) أخرجه مسلم (٨٢).

(٣) أخرجه الترمذي (٢٦٦١).

وَأَزْوَاجُ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ بَاقِيَةٌ نَاجِيَةٌ إِلَى يَوْمِ يُنْعَثُونَ، وَأَزْوَاجُ أَهْلِ
الشَّقَاوَةِ نَعْتَبَةٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ^(١).

الشَّح

« الأخرى وأمور الغيب، فنحن نؤمن بأنهم أحياء ولكنها ليست كحياتهم على الأرض؛ ولذلك تنقسم أموالهم بعد قتلهم، وتُعدّ نساؤهم عدة الوفاة، وأما في الأخرى فإنهم أحياء حياة برزخية، والمراد بهم الذين قُتلوا في سبيل الله، يجاهدون في سبيل الله لإعلاء كلمة الله، هؤلاء هم الشهداء، وقد سئل ﷺ: الرَّجُلُ يُقَاتِلُ حَتَّى يَمُوتَ وَيُقَاتِلُ شُجَاعَةً وَيُقَاتِلُ رِيَاءً فَأَيُّ ذَلِكَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: مَنْ قَاتَلَ لِيَتَكُونَ قَلْبُهُ لِلَّهِ هِيَ الْقِتَابَةُ فَهُوَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ^(١).

والقتال في سبيل الله له ضوابط، فليس لأي أحد أن يأخذ السلاح ويقتل ويفجر، وإنما لا بد أن يكون الجهاد في سبيل الله تحت قيادة ولي أمر المسلمين، إما أن يُباشِر القيادة، وإما أن يُقيم بدلاً منه من يقود الجيش في سبيل الله. لأن إقامة الجهاد من اختصاص ولي الأمر، ويجاهد المسلمون معه، برّاً كان أو فاجراً، ما دام أنه لم يكفر وأمر بالجهاد فإنه يُطاع، ويجاهد معه في سبيل الله، أما القروض وكلّ يحمل السلاح ويفجر ويقتل، فهذا ليس في سبيل الله، بل هذا فساد، والفساد في الأرض، وهذه قروض، والإسلام لم يأذن بهذا، ولا يسمح به، لما يلزم عليه من سفك الدماء وغياب الحقوق وإتلاف الأموال، فهذا فتنه - والعياد بالله - وليس جهاداً، ثم ما هي النتيجة بعد ذلك، إنها القروض وانغلات الأمن كما هو مشاهد.

[١] هذا عذاب القبر، وعذاب القبر أو نعيمه دُلّت عليه الأدلة المتواترة، فالمؤمن يُنعم في قبره، ويفتح له باب إلى الجنة ويأتيه من روحها وتبسمها، ويُقرض له من الجنة، ويوسع له في قبره مد بصره إلى أن يبعث الله يوم القيامة ثم يدخل الجنة، والتنعيم ليس للروح فقط، بل يكون للروح والجسد، وإن

وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يُغْتَنُونَ فِي قُبُورِهِمْ وَيُنَافُونَ، ﴿يَتَنَبَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾^(١)
يَسْتَوُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴿لِلرَّاسِمِ﴾^(٢).

الشرح

تحلل وصار ثراباً فإنه يتم أو يُعذب، فالعذاب يقع على الروح وعلى البدن في القبر، هذا مذبح أهل السنة والجماعة، ليس على الروح فقط. (ولرواح أهل الشافعية معذبة إلى يوم الدين) والشافعي - والعباد بالله - تتصل به روحه في قبره، ويُعذب؛ روحه وبدنه كلاهما بالهما العذاب في القبر ويتألمان.

فالروح لها تعلق بالبدن حتى في القبر، تأتي وتذهب للميت وتتصل به وهو في قبره بمشيئة الله ﷻ، فالروح لها تعلقات بالبدن:

١ - لها تعلق به وهو في بطن أمه، إذا انفصلت فيه الروح يحيا ويتحرك ويتغذى وهو في بطن أمه؛ لأن الروح تتصل به.

٢ - ولها اتصال به بعد ولادته، فهي متصلة به إلى أن يتوفى.

٣ - ولها اتصال به في النوم؛ لأن النوم وفناء، قال تعالى: ﴿وَمَوْتُهُمْ وَتَوَلَّوْهُمْ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ عَلِيمٌ﴾ (الأنعام: ٦٠).

٤ - وتتصل به في القبر على ما يشاء الله ﷻ.

٥ - ثم تتصل به بعد البعث، وهذا الاتصال لا يتفصل بعد ذلك، ويكون اتصالاً كاملاً لا انفصال بعده، إما في الجنة، وإما في النار.

فهذه اتصالات الروح بالبدن، والله على كل شيء قدير، كما ذكرها الإمام ابن القيم في كتاب «الروح»^(٣).

[١] من أصول أهل السنة والجماعة الإيمان بفننة القبر، والفننة: هي السؤال؛ فالميت يُسأل في قبره، قال ﷻ: «إِنَّ الْعَبْدَ إِذَا وَضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنَّا أَصْحَابُهُ زِلَّةٌ لَيْسَ قَرْنٌ بَيْنَهُمْ أَنَا مَلَكَانِ فَيَقْلَعَانِاهُ»^(٤) أي: تعاد روحه =

(١) «الروح» لابن القيم (١/ ١٣، ١٤).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٧٤).

الشرح

في جسده: «وَيَأْتِيهِمْ مَلَكَاةٌ يُخَيِّلَانِيهِ قِيلَوْلَانِ لَهُ: مَنْ رَيْكَ؟ قِيلَوْلُ: رَيْيَ اللَّهِ. قِيلَوْلَانِ لَهُ: مَا بَيْنَكَ؟ قِيلَوْلُ: بَيْنِي الْإِسْلَامُ. قِيلَوْلَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ بَيْنِكُمْ؟ قَالَ: قِيلَوْلُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. قِيلَوْلَانِ: وَمَا بِرَيْكَ؟ قِيلَوْلُ: قَرَأْتُ بِحَقِّهِ لَوْ قَاتَلْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ، فَيَأْتِيهِمْ شَرٌّ مِنَ السَّمَاءِ: لَأَنْ قَدْ صَدَّقَ عَتِيدِي فَأَمْرُشُوءَ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى الْجَنَّةِ وَالْبُسُوءِ مِنَ الْجَنَّةِ، قَالَ: قِيلَوْلَانِ مِنْ رُؤُوسِهَا وَطَبَعُهَا وَفُتِحَ لَهُ فِيهَا سُبُّ بَصَرِهِ، وَأَمَّا المتألف والمتراب الذي عاش في الدنيا على التفاق وعلى الريب والشك فيقولان له: «مَنْ رَيْكَ؟ قِيلَوْلُ: هَذَا هَذَا لَا أَتْرِي. قِيلَوْلَانِ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بَيْنَ بَيْنِكُمْ؟ قِيلَوْلُ: هَذَا هَذَا لَا أَتْرِي. قِيلَوْلَانِ مِنْ السَّمَاءِ: لَأَنْ خَذَلْتَ فَأَمْرُشُوءَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْبُسُوءِ مِنَ السَّمَاءِ وَافْتَحُوا لَهُ بَاباً إِلَى السَّمَاءِ قِيلَوْلَانِ مِنْ خَزَائِمِهَا وَتَطْبَعُ عَلَيْهَا قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ بَيْنَ أَهْلِهَا»^(١)، ويؤمن أهل السُّنَّةِ والجماعة بهذا، وقد توارثت الأحاديث في عذاب القبر، ولم يتكره إلا المعتزلة والعقلانيون الذين يعتمدون على عقولهم، فهؤلاء يتكفرون عذاب القبر، والعباد بالله، ولا يعبؤون بالنصوص فلا يؤمنون بعذاب القبر ولا بتعيم القبر، وقد كان النبي ﷺ إذا فرغ من دفن الميت قال للمحاضرين: «اسْتَغْفِرُوا لِأَعْيُنِكُمْ وَاسْأَلُوا لَهُ الثَّقِيفَ فَإِنَّهُ الْآنَ يُسْأَلُ»^(٢)، فيلقون على قبره ويستغفرون له، ويسألون له الثقيف، قال الله - جلَّ وعلا -: «وَيَجِيئُ اللَّهُ أَتْرِبَكَ فَاسْأَلُوا بِأَقْوَلِ أَتْرِبَةٍ فِي الْمَقْبَرَةِ أَتْرِبَةً رَبِّ الْأَرْضِ وَتُصَلِّ اللَّهُ أَكْثَرِيَةً وَتَقُولُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ»^(٣) (إبراهيم: ١٢٧) ولهذا قال الله لنبيه في شأن المنافقين: «وَلَا تَقُلْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ كَلِمَةَ لَعْنَةٍ وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِمْ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ فَذُوقُوا»^(٤) (النسوة: ٨٨)، فنهاه أن يصف على قبره

(١) أخرجه أبو داود (٢٧٥٥).

(٢) أخرجه أبو داود (٣٢٢٣).

وَأَنْ عَلَى الْعِبَادِ حِفْظَ يَكْتُبُونَ أَعْمَالَهُمْ^(١).

الشرح

«المنافق» يعني: لا يقف يدعو له بالثبوت وسؤال المخطئة، وهذا يدل على أن المؤمن يوقف على غيره ويدعي له.

[١] ويؤمن فعل السنة والجماعة بالحفظة الكرام الكاتبين، وهم ملائكة موكلون بحفظ أعمال بني آدم يكتبونها: شرها وخيرها، والملائكة عالم خلقهم الله من نور، ولهم أجنحة، كما قال الله ﷻ: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي مَخْلَقَ السَّمَوَاتِ وَالتَّارِثَ فِي لَيْلَةٍ مَا يَنْتَظِرُ إِلَّا اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي غَيْرِ مُبَارَاةٍ﴾ (الأنعام: ١٠١)، فهم ذور أجنحة يطيرون ويصعدون وينزلون، لأن الله أقدرهم على ذلك، ونحن لا نراهم على صورهم، وقد بانوا في صور آدمية؛ لأننا لا نطبق رؤيتهم على صورهم المملكية، فيأتون على صور رجال؛ لئلا تفرج من رؤيتهم، كما كان جبريل عليه السلام يأتي إلى النبي ﷺ بحضرة أصحابه في صورة دحية الكلبي عليه السلام.

والإيمان بالملائكة أحد أركان الإيمان الستة، كما في حديث جبريل لما سألته عن الإيمان فقال ﷺ: «أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَتُؤْمِنَ بِالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ»^(٢)، وهم أصناف:

- منهم: من هو موكل بحفظ أعمال بني آدم، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ فِي السَّجَدِ وَمَنْ أَمَرَ اللَّهُ ﷻ، فهم يحضرون أعمال بني آدم ويدونونها عليهم خيرها وشرها، بأمر الله ﷻ، وهم الكرام الكاتبين، قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مَنَاسِكُ الْكَرَامَةِ الْكَبِيرِ﴾ (الأنعام: ١٠١-١٠٢)، فهم يكتبون أعمال بني آدم، وهم يتعاقبون علينا بالليل والنهار، فهناك ملائكة يلازمون العبد في النهار ويكتبون ما يصدر منه، وملائكة يكتبون عمل العبد في الليل، في الحديث: «يَتَعَقَّبُونَ فِيكُمْ مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ وَيَجْتَمِعُونَ فِي صَلَاةِ»

(٢) أخرجه مسلم (٨).

(١) أخرجه البخاري (٣٦٣٤).

الشرح

«الْفَجْرِ وَصَلَاةَ الْعَصْرِ ثُمَّ يَخْرُجُ الَّذِينَ بَاتُوا يَتَخَنَّمُ فَيَسْأَلُهُمْ رَبُّهُمْ وَهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ
 كَيْفَ تَرَكْتُمْ عِبَادِي لَقَوْلُونِ تَرَكْتُمُكُمْ وَهُمْ يَصُحُّونَ وَأَتَيْنَاكُمْ وَهُمْ يَضُلُّونَ»^(١١)،
 ففي صلاة الفجر يصعد الملائكة الذين باتوا فينا، ويأتي ملائكة النهار، وفي صلاة
 العصر يصعد الملائكة كانوا معنا في النهار ويأتي ملائكة الليل، وهكذا دائماً
 وأبداً، ولهذا صلاة الفجر تطول فيها القراءة، قال الله - جلَّ وعلا -: ﴿وَقَرَأَ
 الْقُرْآنَ بِأَذْوَانٍ تَلَاقَتْ فِيهَا السَّجُودَاتُ﴾ (الأنعام: ١٠٨)، فسمى صلاة الفجر قرآناً
 لأنها تطول فيها القراءة، وقوله: ﴿سُجُودَاتُ﴾ أي: محضراً، تحضره ملائكة
 الليل وملائكة النهار، وصلاة العصر هي الصلاة الوسطى وهي أفضل
 الصلوات، قال تعالى: ﴿حَنِيفًا عَلَى الْمَثَلَاتِ وَالْمَثَلَاتُ الْأَوَّلَى وَقَوْمًا لَهُ تَرْبِيَةٌ
 عَمَّا﴾ (البقرة: ١٢٨)، تحضرها معاً ملائكة الليل وملائكة النهار.

- ومنهم: صنف موكل بحفظ ابن آدم، يحفظونه أن يصيبه شيء، أو أن
 يعتدي عليه أحد، قال تعالى: ﴿يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ أَلْفٍ﴾، أي: يحفظون العبد
 بأمر الله إلى أن يأتي قدر الله المحقق عليه فيدخلون عنه؛ فينقذ فيه ما
 أَرَادَهُ اللهُ ﷻ، قال تعالى: ﴿لَقَدْ تَقَبَّلْتُ مِنْ أُنْثَىٰ بَدْنًا وَمِنْ خَلْقٍ يَخْتَفُونَ مِنْ أَمْرِ
 أَلْفٍ﴾ (الرحمة: ١١) ولذلك قد يدخل العبد في مخاطرة وفي أرض هوام
 وسباع وأرض تعابن فلا يصيبه شيء، لأن معه ملائكة يحفظونه بأمر الله ﷻ،
 وهؤلاء يسمون المَحْفُظَات.

- ومنهم: ملائكة موكلون بقبض الأرواح، ورئيسهم ملك الموت، قال
 تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ مُمَاتُّهُمْ فَلْيُصْبِرْ إِلَىٰ وَفَاةٍ رَبِّهِمْ أَتَمًّا﴾ (الأنعام: ٩٣)،
 (السجدة: ١١)، وله أعوان من الملائكة على قبض الروح وسباق الروح من
 الجسد، ثم إذا اجتمعت أخذها ملك الموت فقبضها، قال تعالى: ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ

وَلَا يَنْفُكُ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ عَنْ عِلْمِ رَبِّهِمْ^(١١)، وَإِنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ يَنْفُكُ
الْأَرْوَاحَ بِإِذْنِ رَبِّهِ.

الشرح

= يَا لَئِنْ لَمْ تَمُوتْ قَدْ عَلِمْتَ أَنَّ^(١٢) أي: الملائكة، ﴿وَعَلِمَ لَا يَكْفُرُونَ﴾ (الأنعام: ٦١).

= ومنهم: الملك الموكل بالفتح في الصور، وهو إسرائيلي، يفتح في الصور
فيصنع من في السموات ومن في الأرض، فيموتون، ثم يفتح فيه أخرى فيحيون،
فهذه نسخة البعث، قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ بِنُورِهِمْ يَمْشُونَ﴾ (الزمر: ٦٨).

= ومنهم: الملك الموكل بالوحى، وهو جبريل عليه السلام.

= ومنهم: الملك الموكل بالنظر، وهو ميكائيل عليه الصلاة والسلام.

= ومنهم: من ينفذ أوامر الله في السموات والأرض، إذا أمر بالأمر فإن
الملائكة تنزل به إلى حيث شاء الله ﴿وَيُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾، فكل فريق منهم له
عمل خاص موكل به.

[١١] أي: ليس معنى كتابة أعمال بني آدم أن الله لا يعلمها، بل الله
يعلمها ﴿وَلَا تَكُنْ كَالْعِزِّزِ الْمُحْضَرِّ﴾، وإنما كتابتها لحفظها ليُقابِلَ بها العبد يوم القيامة ويقال: هذا
عملك، هذه صحيفةك، اقرأ كتابك، فإنه لا يحذف على أنه يعلم عمل العبد،
وإنما يحذف على وقوع الشيء من الإنسان، فإذا وقع فإن الملائكة تكتبه وتنبئه
في صحيفة، هذه الصحيفة تُدْفَعُ إلى العبد يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَيُحْضَرُ
لَهُ فِي يَوْمَئِذٍ ثَلَاثَةٌ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ وَتُفَرَّقُ لَهُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ صِهْرًا يَكْفِيهِ سُبُورًا﴾ ﴿أَفَرَأَيْتَ كَيْفَ
كُنَّ يَتْلِيهِ يَوْمَئِذٍ خَيْرٌ مِنْهَا﴾ (الاسراء: ١٣، ١٤)، تُدْفَعُ إليه صحيفته، فإن
كان من أهل الخير بأعمالها يحمته، وإن كان من أهل الشر بأعمالها يشماله
= والعياذ بالله - فيلقى عمله، ولا ينكر منه شيئاً، وألا فإنه يعلم ﴿وَلَكِنَّ لَا
يَعَذَّبُ النَّاسَ عَلَىٰ مَجْرَدِ أَنَّهُ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ﴾، حتى يفعلوا هم هذا الشيء في
الواقع والمشاهد، فهو يعذبهم على أعمالهم أو يكرمهم على أعمالهم.

وَأَنْ غَيْرَ الْقُرُونِ الْفَرْدِ رَأَوْا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَقْبَتُوا بِهِ، ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ^(١١).

وَأَفْضَلُ الصَّحَابَةِ الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْمُهْدِيُّونَ: أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ
ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ^(١٢).

الشرح

[١] من أصول أهل السنة والجماعة: أنهم يعتقدون أن غير القرون؛ أي:
غير أجيال الأمة هم جيل الصحابة، والصحابة: جمع صحابي، والصحابي: من
لقي النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك، فمن آمن بالنبي ﷺ ولم يلقه فليس
بصحابي، وإنما هو تابعي، ويشترط أن يستمر على الإيمان حتى يموت، فإن
ارتد عن الإسلام فإنه لا يكون صحابياً، ويسمى مرتدّاً، فلا بد من هذه الأمور
الثلاثة: لقي النبي ﷺ واجتمع به، سواء طال اجتماعه ولقاءه أو قصراً، ويكون
مؤمناً به عند اللقاء، وأن يستمر على الإيمان حتى الوفاة، والصحابة غير
القرون، بشهادة رسول الله ﷺ، حيث قال: «غَيْرُكُمْ لَمَرِي ثُمَّ الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ ثُمَّ
الَّذِينَ يَلُوتُهُمْ»^(١١)، ويعدّهم التابعون، وأتباع التابعين، هؤلاء هم خيار الأمة
المحمدية، وأفضل من يأتي بعدهم الذين يلهمونهم، قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ
أَوَّلُوا مِنَ الْهَاجِرِينَ وَالْأَحْكَامِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَالِمِينَ﴾ (النسوة:
١٠٠)، ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ لَكِنَّا لَا خَرَجَ لَكِ مِنْهَا سَبِيلًا
إِلَّا بِإِذْنِ رَبِّكَ لَا تَقْرُبُوا قُرْبَىٰ وَلَا يَلُوكَ الْقُرْبَىٰ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ خَفَايَا الَّذِينَ هُمْ أَغْنَىٰ عَنْكَ الْإِسْرَ: ١٠).

[٢] الصحابة يتفاضلون؛ مع فضلهم العام الذي انفردوا به عن الأمة،
واختصوا به عن الأمة، ولكنهم يتفاضلون فيما بينهم، فأفضلهم الخلفاء
الراشدون، وهم: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان، ثم علي - رضي الله عنهم
أجمعين -، وهم يتفاضلون بينهم، وترتيبهم في الفضل مثل ترتيبهم في ..

(١١) أخرجه البخاري (٢٦٥١).

وَالَّذِي يُذَكِّرُ أَحَدًا مِنْ صَحَابَةِ الرَّسُولِ ﷺ إِلَّا بِأَحْسَنِ ذِكْرٍ^[١].
وَالْإِنْسَانُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ^[٢]، وَأَنَّهُمْ أَخْبَى النَّاسِ أَنْ يُلْقَسْنَ لَهُمْ
أَحْسَنُ الْمَخَارِجِ، وَيَنْظَرُ بِهِمْ أَحْسَنُ الْمَذَاهِبِ^[٣].

الشرح

- الخلافة، ثم بقية العشرة المشهود لهم بالجنة، وهم: طلحة، والزبير،
وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد بن الخطاب
ابن عم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وأبو عبيدة بن الجراح، فهؤلاء العشرة
المبشرون بالجنة، ثم أصحاب بدر، ثم أصحاب بيعة الرضوان، والمهاجرون
أفضل من الأنصار، ثم الذين أسلموا قبل الفتح، ثم الذين أسلموا بعد الفتح،
كل هؤلاء صحابة ولكن يتفاضلون فيما بينهم رضي الله عنهم وأرضاهم.

[١] من أصول أهل السنة والجماعة الثناء على صحابة رسول الله، وأن
لا يُذكر أحد منهم إلا بأحسن الذكر، رضي الله عنه، لأن الله مدحهم وأثنى عليهم
ورضى عنهم، ولهذا قال ﷺ: «لَا تُشَبِّهُوا أَصْحَابِي فَلَوْ لَنْ أَخَذْتُمْ أَتَقَرُّ بِمَنْ
أَخْبَرَ نَفْسًا مَا يَلْقَى مِنْ أَحَدِهِمْ وَلَا نَعِيَّةً»^[١].

[٢] الفتن تقع عليهم وعلى غيرهم، وقد وقعت على الصحابة ونقع على
من جاء بعدهم، ولكن الصحابة أعطاهم الله من الفضل ما لم تؤثر فيهم بسببه
الفتنة التي حصلت، والفتنة إذا جاءت فمن الناس من يمسك عنها ولا يدخل
فيها، وأما أن يدخل فيها باجتهاد منه لإطاعتها، فلا يبحث فيما حدث بين
الصحابة بسبب الفتنة إلا على وجه الاحتذار عنهم.

[٣] الصحابة غير معصومين بالنسبة لأفرادهم، أما جملة الصحابة فهم
معصومون، وإجماعهم حجة، ولكن أفرادهم قد يقع منهم أخطاء، تكفر عنهم
لعدة أسباب منها أنهم يتوبون إلى الله، وتكفر عنهم سيئاتهم بفضل صحبتهم،

وَالطَّاعَةُ لِأَمْرِ الْمُسْلِمِينَ مِنْ وَلَاةِ أُمُورِهِمْ وَعِلْمَانِهِمْ^(١).

الشرح

«ثَبِيحَةُ كَلِمَةٍ: فَمِنْ أَصُولِ أَعْلَى الشُّعْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ سَلَامَةُ قُلُوبِهِمْ وَالْمُسْتَعْتَمِمْ لِأَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ^(١) أَمْرٌ. وَفِي هَذِهِ الْأَمَةِ ثَلَاثَةُ أُمُورٍ: الدُّعَاءُ لَهُمْ وَالنَّهْيُ عَلَيْهِمْ، وَطَهَارَةُ الْقُلُوبِ مِنْ بَغْضِهِمْ وَالْأَلْسُنُ مِنْ سُبِّهِمْ، عَكْسُ الَّذِينَ يَلْعَنُونَهُمْ وَيَسُبُّونَهُمْ وَيَتَسَمَّوْنَ الْعُيُوبَ لَهُمْ، مُخَالِفِينَ بِذَلِكَ أَمْرَ اللَّهِ وَأَمْرَ رَسُولِهِ.

[١] هَذِهِ الْمَسْأَلَةُ مِنْ أَصُولِ أَعْلَى الشُّعْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ الَّتِي فِي كِتَابِ الْعَقَائِدِ الَّتِي أَلْفَهَا الْعُلَمَاءُ فِي بَيَانِ أَصُولِ عَقِيدَةِ أَعْلَى الشُّعْنَةِ وَالْجَمَاعَةِ، وَهِيَ السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ لَوَلَاةِ أُمُورِ الْمُسْلِمِينَ، لِمَا يَنْتَرِبُ عَلَى ذَلِكَ مِنَ الْمَصَالِحِ، وَيَنْتَفِعُ بِهِ مِنَ الْمَفَاسِدِ، فَلَا يَدُ لِلْمُسْلِمِينَ مِنَ الْاجْتِمَاعِ عَلَى نَفْوَى اللَّهِ، وَالْعَمَلُ بِشَرْعِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ يَحْتَثِلَ اللَّهُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ دَارِ الْآخِرَةِ وَلَا تَقْرَبُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣]، وَقَالَ: ﴿وَلَا تَكُونُوا تَالِفِينَ تَقَرَّبُوا وَاتَّخَذُوا بَيْنَهُمْ مَا بَيْنَهُمْ آلِهَةً وَلَوْلَا ذَلِكَ لَفَسَدَتِ أَعْيُنُكُمْ﴾ [آل عمران: ١٠٥]، فَلَا يَدُ مِنَ اجْتِمَاعِ الْمُسْلِمِينَ وَعَدَمِ تَفَرُّقِهِمْ، وَلَا يَجْتَمِعُونَ إِلَّا بِقِيَادَةِ مُنْهَمٍ، فَلَا اجْتِمَاعَ إِلَّا بِإِمَامَةٍ، وَلَا إِمَامَةَ إِلَّا بِسَمْعِ وَطَاعَةِ؛ وَلِهَذَا قَالَ ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَذُرُوا الْآخِرَ يَكُونُ﴾ [النساء: ٥٩]، فَذَكَرَ ﷺ أَنَّ الطَّاعَةَ تَكُونُ ثَلَاثًا:

أَوَّلًا: تَكُونُ لِلَّهِ ﷻ.

ثَانِيًا: تَكُونُ لِلرَّسُولِ ﷺ.

ثَلَاثًا: تَكُونُ لِأَوَّلِي الْأَمْرِ، وَأَوَّلُو الْأَمْرِ: هُمُ أَمْرَاءُ الْمُسْلِمِينَ، وَعِلْمَاءُ الْمُسْلِمِينَ.

وَالْمَصْلُحَةُ تَعُودُ عَلَى الْجَمْعِ، بِعَيْثٍ يَنْتَظِمُ شَأْنُهُمْ، وَتَقْوَى جَمَاعَتُهُمْ، وَيَهَابُهُمْ عَدُوُّهُمْ، وَهَذَا مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ، وَأَمَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ؛ وَلِذَا وَعَدَ ﷺ أَصْحَابَهُ مَوْعِدَةً بِلَهْفَةٍ وَجَلَّتْ مِنْهَا الْقُلُوبُ، وَفُرِغَتْ مِنْهَا الْعُيُوبُ، قَالُوا: «

وَاتَّبَاعُ السَّلَفِ الصَّالِحِ وَاتِّقَاءُ آثَارِهِمْ، وَالِاسْتِغْفَارُ لَهُمْ^(١١).

الشرح

« يَا رَسُولَ اللَّهِ كَأَنَّ عَلَيْهِ مَوْعِظَةٌ تُوَدَّعُ فَدَنَا لَتَقْعُدَ إِلَيْهَا؟ قَالَ: «لَوْ صِبَّكُمْ بِقُرَى اللَّهِ وَالشَّيْخِ وَالطَّاعَةِ وَإِنْ عَيْدًا خَيْرًا قَالَتْ عَنْ نِعْمَتِ مَنْكُمْ يَنْدِي لَسَبْرِي أَفْجَلًا خَيْرًا فَتَلْبِثُكُمْ بِشَيْءٍ وَشَيْءٍ الْخُلُقَاءِ الْمُتَهَبِّينَ الرَّاشِدِينَ تَتَشَكَّرُوا بِهَا وَتَعْبُدُوا عَلَيْهَا بِالتَّوَّاجِدِ، وَتُحَاسِنُكُمْ وَمُحَدِّثَاتِ الْأُمُورِ فَإِنْ كُنْ تَحَدِّثُ بِذَلِكَ وَكُلُّ بِذَلِكَ ضَلَالَةٌ^(١٢)، هذه وصية الرسول ﷺ لأمته، وهي ما أوصى الله بها في كتابه في قوله: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ يَأْتِيَنَّ اللَّهُكُمْ سُبُحَاتٌ وَلَا تَعْرِفُوهَا﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وفي قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ تَتَلَفَتْ فِي حُجْمِ قَوْمِهِمْ إِلَى اللَّهِ وَالْأَنْبِيَاءِ﴾ [النساء: ٨٩]، والرد إلى الله والرسول، هو الرد إلى الكتاب والسنة، على أيدي العلماء، لأن العلماء هم أولو الأمر في العلم، والأمراء أولو الأمر في السلطة، ولا بد للمسلمين من علم وسلطة، لمسائل العلم للعلماء، ومسائل السياسة لأمراء المسلمين، ولا يستقيم أمر المسلمين إلا بهذا، في كل زمان ومكان، ولا يستقيم هذا مع إعلان سبهم وتقصصهم والناس العيوب لهم، وإعلان ذلك للناس، لأن هذا يسبب الخروج عليهم وشق عصا الطاعة وتفرق الجماعة، ومن حصل منه خطأ فإنه يتأضح سراً بين الناس والمنصوح.

(١١) وكذلك من أصول أهل السنة والجماعة اتباع السلف الصالح،

والسلف الصالح: هم الصحابة والتابعون وأتباع التابعين ومن سار على نهجهم إلى يوم القيامة، كما قال - جلّ وعلا -: ﴿وَاتَّبِعُوا الْأَنْبِيَاءَ مِنَ التَّحْقِيقِ وَالْأَحْكَامِ وَالَّذِينَ يَتَّبِعُونَ رِضْوَانِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَتَتَّبِعُوا عَنَّا وَتَتَّبِعُوا لِمَنْ يَتَّبِعُنَا تَحْزَنُ تَحْتَهَا الْأَنْبِيَاءُ خَيْرٌ مِنَّا لَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١٠٠]، وقال ﷺ: «الْمُتَرْفَعُ الْيَهُودُ عَلَى إِحْدَى أَوْ بَشْتَيْنِ مِثْبَتَيْنِ فِرْقَةٌ وَتَفَرَّقَتْ».

التنقيح

«التضارّي على إحدى أو اثنين وسبعين فرقة وتفرّق أثني على ثلاث وسبعين فرقة»^(١)، وفي رواية: «كلّها في النار إلا واحدة»، وهي الجفّة^(٢)، وفي رواية أخرى: «ما أتا عليه اليوم وأصحابه»^(٣)، فهؤلاء هم الفرقة الناجية، وهذا الانتساب إلى السلف الصالح ومذهبهم لا بد أن يكون عن معرفة لما عليه السلف الصالح، لا بد أن يكون بمعرفة مذهبهم ودراسة ما هم عليه، أما مجرد أن يدّعي الإنسان أنه على منهج السلف الصالح وهو لا يعرف ما هم عليه فهذا لا يكفي، هو يزجر على شيء وعلى قصده ولكن هذا لا يكفي، بل يجب معرفة ما عليه الرسول ﷺ وأصحابه، ولهذا الله - جلّ وعلا - قدّ، فقال: ﴿وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ يُخْتَارُ﴾^(٤) يعني: ياتقان، وذلك بمعرفة مذهبهم وما هم عليه، حتى يكون الانتساب إليهم انتساباً صحيحاً، فلا يكفي مجرد الانتساب من غير معرفة بمذهبهم، ولهذا فإن العلماء ذكروا ذلك في كتب العقائد، فهو من أصول العقائد في هذه العقيدة، وكلها عقيدة الطحاوي، والعقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية، فالعلماء يذكرون هذا في عقائدهم؛ لأهميته، فهذه مسألة عظيمة، ومنهج مستقيم، لا تصلح الأمة إلا به، وكما قال الإمام مالك رحمه الله: «لن يصلح آخر هذه الأمة إلا ما أصلح أولها»، فالذين يأتون في آخر الأمة ويحبون السلف ويحبون الاقتداء بهم هذا شيء طيب، ولكن لا بد أن يدرسوا عقيدتهم ومذهبهم وما هم عليه حتى يعرفوه على بصيرة ويثبتوا به؛ لأن هناك من يدّس على المسلمين أشياء ويقول هذه من منهج السلف، وهذا عمل السلف؛ ليضلّهم، ولكن منهج

(١) أخرجه أبو داود (٤١٩٨).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٣٩٩٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٤١٤).

الشرح

= السلف واضح ومدون - وله الحمد - ومدروس فليرجع إليه، ويتبع وينفذ حتى تصلح الأمة ويستقيم أمرها.

ومن حق السلف الصالح علينا من الصحابة والتابعين ومن جاء بعدهم أن نستغفر لهم؛ لأن الله لما ذكر المهاجرين والأنصار في سورة (الحشر)، قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَآلِهِمْ كُنُوا هُنَّ وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ كُنَّ﴾ (الحشر: ١٨)، ثم قال في الأنصار: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: ١٩)، ثم قال في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: ١٩)، ثم قال في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: ١٩)، ثم قال في الذين جاءوا من بعدهم: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَتَى النَّبِيُّ عَلَيْهِمْ سُبْحَانَهُمْ وَاللَّهُ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ (الحشر: ١٩).

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في «العقيدة الواسطية»: «ويزيد أصول أهل السنة والجماعة: سلامة قلوبهم وألبانهم لأصحاب رسول الله ﷺ، سلامة قلوبهم من بغض الكرامية؛ لأن الذي بغض الصحابة وكبرهم هذا منافق وليس بمؤمن، وكذا سلامة ألسنتهم فلا يتكلمون في الصحابة، ولا يتقصونهم ولا يظلمون لهم العيوب، وإنما يستغفرون لهم ويترضون عنهم، ويحولونهم، ويقتلونهم».

هذا منهج أهل السنة والجماعة مع صحابة رسول الله ﷺ، وهو الاقتداء بهم والسير على منهجهم، وسلامة القلوب من بغضهم، وسلامة الألسنة من سبهم والقبح فيهم أو في أحد منهم، هذا هو منهج الكتاب والسنة، ومنهج =

وَتَرَكُ الْجَمَاعَ وَالْجِدَالَ فِي الدِّينِ^(١)

الشرح

« أهل السنة والجماعة، ولا يستقيم أمر الأمة إلا بهذا، أما إذا تنكر المتأخرون لمن سبقهم وأنكروا فصلهم وسابقتهم ورموهم بالجهل والغباوة وغير ذلك، فهذا ضلال وضباع، وعدم تمسك بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ، لأن الله - جل وعلا - قال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ يَحِيلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَيُلْهِ أَصْبَاحَكُمْ وَلَا تَعْلَمُوا أَلَمَ الْيَوْمِ﴾ (آل عمران: ١٠٣)، جميعاً: من أول الأمة إلى آخرها يتمسكون بحيل الله، وهو الكتاب والسنة، ولا يتفرقون في ذلك، وإن اختلفوا في المسائل الاجتهادية، فإنهم يرجعون إلى الكتاب والسنة، ﴿فَمَنْ تَزَيَّعَ مِنْكُمْ فَرَّوْهُ إِلَى اللَّهِ وَالْأَوَّلَىٰ﴾ (النساء: ٥٩)، فالاختلاف في المسائل الاجتهادية الفقهية لا بد أن يحصل، لكن الذي يضبط المنهج الصحيح هو أن تعرض الأقوال على الكتاب والسنة، فما وافق الكتاب والسنة فهو صواب، وما خالفهما فهو خطأ، فيؤخذ بالصواب ويترك الخطأ، ولا نتعصب لقول أحد دون أحد، وإنما علينا أن نزن أقوال المختلفين من قبلنا أو المعاصرين لنا على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، فما وافق الكتاب والسنة فهو صواب، وما خالفهما فهو خطأ، وإن كان صاحبه ما قصد الخطأ، لكن طريقته خطأ، قال ﷺ: «إِذَا حُكِمَ الْحَاكِمُ فَأَجْتَهَدَ ثُمَّ أَضَابَ قَلْبَهُ أَجْرَانِ، وَإِذَا حُكِمَ فَأَجْتَهَدَ ثُمَّ أَخْطَأَ قَلْبَهُ أَجْرَةٌ»^(١)، أجر على اجتهد، والخطأ مغفور لله الحمد، وإنما التعصب للقول أو للشخص أو للمذهب من غير دليل هذا هو المذموم، بل هذه عصبية جاهلية ولا تجوز، فالواجب أن المؤمن يزن أقواله وأفعاله وتصرفاته بالكتاب والسنة، إذا كان يحسن هو الرجوع إلى الكتاب والسنة، فالحمد لله، وإلا فليسال أهل العلم: لبيئوا له الخطأ من الصواب، هذا هو المنهج السليم لهذه الأمة، ولا تصلح هذه الأمة إلا بذلك.

[١] من أصول أهل السنة والجماعة ترك المراء والجدل، فالهدف هو =

وَتَرَكْ مَا أَخَذْتَهُ الْمُخْبِرُونَ^(١).

وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ نَبِيِّهِ، وَعَلَى آلِهِ، وَأَزْوَاجِهِ،
وَقُرْبَتِهِ، وَسَلَّمْ تَسْلِيماً كَثِيراً^(٢).

الشرح

«الحصول على الحق، وأما أننا نتجادل ونشغل أوقاتنا ونستهلك طاقاتنا في الجدال العقيم والانتصار لقول فلان وعلان فهذا يضر ولا ينفع، والدين ليس فيه مرء ولا جدل، الدين هو الكتاب والسنة وليس فيه اختلاف ولا مرء ولا جدل، ولا يحسم هذا إلا الكتاب والسنة، ولا يستفيد من الكتاب والسنة إلا أهل العلم فيألون عن ذلك، فيرجع إلى أهل العلم.

[١] كل ما أحدثه المخبرون بعد السلف الصالح من الأقوال والأفعال والعقائد، فإذا كان ذلك مخالفاً للكتاب والسنة وما عليه سلف هذه الأمة فلا بد من تركه، وليس في هذا غشاحة على من أخطأ أن يرجع إلى الصواب، بل هذا فضيلة له، فالرجوع إلى الحق فضيلة.

[٢] ختم هذه الرسالة التسليمة بخير ختام بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ، لوجوب الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّالِحِينَ الَّذِينَ إِذَا أُتُوا بِالْحَبَرِ كَانُوا سَلَامًا عَلَيْهِمْ وَتَسْلِمُوا عَلَيْهِمْ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، وهذا من حقه علينا ﷺ أن نصلي وتسلم عليه عند ذكره، وعندما نكتب كتاباً فإننا نختمه بالصلاة والسلام على الرسول ﷺ، وفي التشهد الأخير من الصلاة نصلي وتسلم عليه، وهذا من أركان الصلاة، ولا يكفي أنك تذكر الصلاة والسلام على الرسول ﷺ، ولا تتبعه، بل لا بد من اتباعه لأن بعضهم يقول: أريد الأجر فأصلي وأسلم عليه، وهذا يكفي، والناس أحرار في عقائدهم، والناس أحرار في قرآنهم، وحرية الكلمة... إلى آخره.

لا يا أخي أنت عبد لله ﷻ، فتمتثل أمر ربك، أنت لست حرّاً بمعنى «

التلويح

« أنك تفعل ما تشاء، أنت حر بمعنى أنك لا تأخذ المناهج والأقوال على علقها، أنت حر أن تميز بينها وتأخذ الصحيح، وتترك الخطأ، هذه الحرية الصحيحة، الحرية الصحيحة باتباع الكتاب والسنة؛ لأنهما بحروران منهج السلف من الأفكار الخيبة والأفكار الضائعة، وأعظم ذلك التحرر من الشرك، ومن البدع والمخالفات، فهذه الحرية الصحيحة، وليست الحرية أنك تطلق على حسب هواك وتزكي نفسك؛ هذه ليست بحرية، هذه بهيمية وهي عبثة الاستعباد، قال تعالى: ﴿الَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ هَبَ ذَرْبَهُمْ فَأَتَتْ بَوَارِئُهُمْ أَلْوَاعُهُمْ وَأَصْفَادُهُمْ﴾ (الحجرات: ٢٢)، هذه عبيد لهواء، فاتخذوا معبوده هواء، فما يسوخ هواء بأحد به، وما يخالف هواء يرفضه كاليهود، قال تعالى: ﴿أَتَدْعُونَ بَنِيَّ أَنْ يَدْرُسُوا عَنْ آلِهَتِهِمْ كَمَا تُدْرِسُونَ الْبُحْرَانَ﴾ (البقرة: ٨٧)، لم ذلك؟ لأنهم يريدونهم إلى الحق، وهم يريدون الانطلاق إلى أهوائهم.

فالحرية الصحيحة هي اتباع الكتاب والسنة؛ لأنهما بحروران العقول وبحروران العبيد من الأهواء ومن الشهوات ومن الأفكار ومن الآراء الضالة والضائعة؛ بل وبحروران الناس من عبادة الأشجار والأحجار والشيطان والطواغيت، وهذه هي الحرية الصحيحة، تكون باتباع الكتاب والسنة، وأما مخالفة الكتاب والسنة فهذه عبودية وليست حرية، فيكونون عبيد أهوائهم، وعبيد أفكارهم ورجائهم، وعبيد من قلدهم على ضلال.

وبعد أن صلى وسلم على الرسول ﷺ صلى وسلم على آله وهم: المؤمنون من قريته ﷺ، الذين تحرم عليهم الزكاة، وهم آل العباس، وآل علي، وآل عقیل، وآل جعفر، فهؤلاء هم قرابة الرسول ﷺ، وهم آله، وكذلك من آله: أتباعه على دينه، فكل من اتبع الرسول ﷺ وآمن به فإنه من آله، ولكنه ليس من قريته، فالآل على قسمين: القرابة، والاتباع الذين على دينه، والقرابة جمعت بين فضيلتين: فضيلة القرابة وفضيلة الإيمان، أما غير القرابة =

التَّحْرِجُ

= فأخذ فضيلة الاتباع والإيمان فقط؛ وأصحابه داخلون في الآل بمعنى الاتباع، ولكنه ذكرهم على الأفراد لأجل الاهتمام بحقوقهم ﷺ؛ لكونهم صحابة رسول الله ﷺ الذين آمنوا به وأزروه ونصروه وجاهدوا معه، فهم لهم الفضل على هذه الأمة، ففضل الصحبة فضل لا يدركه غيرهم مهما عظم الإيمان والتفوى ممن جاء بعدهم فلن يصل إلى درجتهم؛ لأن معهم درجة الصحبة للرسول ﷺ، فهم أفضل هذه الأمة؛ لصحبتهم لرسول الله ﷺ، ولا يشاركهم غيرهم في ذلك.

وزوجاته أمهات المؤمنين من آل رسول الله ﷺ، ومن أهل بيته، قال الله ﷻ مخاطباً زوجات النبي ﷺ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِّزَوْجَتِكَ ذَلِكُم مِّثْلُ ذَلِكُم ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِن بَعْدِكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ لَن يَكُنَّ مِثْلُ مَا كَانَ الْحَدِيثُ مِن لِّأُولَئِكَ ۚ وَلَسَ لَكُم فِي ذَٰلِكَ لَآيَةٌ لِّمَن يَعْلَمُ ۚ﴾ [الأحزاب: ٣٢، ٣٣]، وهذه الأوامر تشترك فيها النساء المؤمنات؛ فالقرار في البيوت لساء المؤمنين، والحجاب لساء المؤمنين، وإن كان أصل الخطاب لساء الرسول ﷺ، فهن القدوة، فإذا كانت لساء الرسول ﷺ مأمورات بالحجاب ومأمورات بتجنب التبرج وهو التزين عند الخروج، والتطيب ومأمورات بالقرار في البيوت، ومأمورات بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، ومأمورات بطاعة الله ورسوله، فكذلك لساء الأمة؛ لأن لساء الرسول ﷺ من القدوة لساء المؤمنين، ﴿لَسَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ﴾، الرجس هي نجاسة المعاصي والذنوب، ﴿وَلِيُطَهِّرَ تَطْهِيرًا﴾، فدل على أن لساء الرسول ﷺ من أهل بيت الرسول ﷺ، وليس بيت الرسول ﷺ خاصاً بقرابة الرسول؛ بل أزواجه من أهل بيته؛ لأن الخطاب موجه لهن.

وفرية الرسول ﷺ بناته من حديجة بنتا، وأولاد فاطمة؛ لأن أولاد =

الشرح

- فاطمة أولاد للرسول ﷺ، لأنه جدعم، فأولاد فاطمة وأولاد أولادهم ونسلهم كلهم من أولاد الرسول ﷺ، لهم الفقر والمكانة إذا هم اتبعوه وآمنوا به، ولا يكفي أنهم من قرابة الرسول؛ فأبو لهب هو عم الرسول ﷺ، ولكن لما كان كافراً لم ينفعه ذلك، لم تنفعه القرابة؛ فالقرابة وحدها لا تكفي، بل لا بد من القرابة مع الإيمان بالرسول ﷺ، فالذي يقول: أنا من قرابة الرسول ولا يتبعه ليس من آله، وإن كان من قرابته، فليست كل قرابة الرسول من آله.

هذا آخر التعليق على هذه العقيدة التي تضمنتها مقدمة الإمام الشيخ ابن أبي زيد والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه وأتباعه، وبهذا تم الشرح.



نظم مقدمة الرسالة

لشيخ أحمد بن علي بن مشرف الأحساني المالكي

المتوفى سنة (٧٢٨هـ)

الحمد لله حمداً ليس مُنحصراً
ثم الصلاة وتسليم المهين
على الذي شاد بتيان الهدى فمما
نبهنا أحمد الهادي وبشرته
ويعد فالعلم لم يظفر به أحد
لا سيما أهل علم الدُّهْن إن به
على أيديه ما يخفى وما ظهر
هبّ العيب فأدّر العارض الخطر
وساد كلّ الورى فخراً وما افتخراً
وصحبه كلّ من أوى ومن نصراً
إلا سقاً وبأسباب الغلى ظفراً
سعادة العبد والمنجى إذا حشراً

باب ما تعتقده القلوب وتنطق به الألسن

من واجب أمور الديانات

وأول الغرض إيمان الفؤاد فمما
أنّ الإله إله واحد صمد
ربّ السموات والأرضين ليس لنا
وأنة موجود الأشياء أجمعها
وهو المنزه عن ولد وصاحبة
لا يبلغن كنه وصف الله واصفه
وأنة أول ساق فليس له
حيّ عليه قدير والكلام له
وأنّ كرسيه والعرش قد وسعا
نطق اللسان بما في الذّكر قد سطر
فلا إله سوى من للأنام براء
ربّ سواء تعالى من لنا فطرنا
بلا شريك ولا عون ولا ولاء
والله وعن الأشياء والنظر
ولا يحيط به علماً من الفتكرا
بده ولا منتهى سبحان من قلنا
مرة سميع بصير ما أراد جرى
كلّ السموات والأرضين إذ كبرا

بذاته فاسأل الوحيين والقطرا
عن الرسول فتابع من روى وقرا
عرش استوى وعن التكليف فمن خيرا
بخفاء شيء سميع شاهد ويرى
كذلك أسماء الحسنى لمن ذكرها
كلامه غير خلق أعجز البشر
ولم يزل من صفات الله متغيرا
بالخلق يشته في الضعف من زبرا
إنه فوق ذاك الطور إذا حضرا
من وصفه كلمات تحتوي جبرا
قال الكلبي: إلهي أسأل النظر
ألى تراثي وتوري يدهش البصرا
إذا رأى بعض أنوارى فسوف ترى
تصدع الطور من خوف وما اصطرا

ولم يزل فوق ذاك العرش خالفا
إلى العلوى به الأحيار قد وردت
قائله من على الملك احتوى وعلى الـ
والله بالعلم في كل الأماكن لا
وإن أوصافه ليست بمحدثة
وإن تنزيله القرآن أجمعه
وحي تكلم مولانا القديم به
يلى ويحمل حلقا في الصدور كما
وإن موسى كلمه الله كلمه
قائله أسمعه من غير واسطة
حتى إذا هام شكرا في محبة
إليك. قال له الرحمن موعظة
فانظر إلى الطور إن يشته مكانته
حتى إذا ما تجلى ذو الجلال له

فصل في الإيمان بالقدر خيره وشره

إيماننا واجب شرعا كما ذكرنا
طرأ وفي لوجه المحفوظ قد سطرا
ومن ضلال ومن شكران من شكرا
فلا تكن أنت بمن ينكر القدر
يجري عليهم فمن أمر الإله جبرا
قضاته كل شيء في النور صدرا
ومن أصل يعدل منه قد كفرنا
ما شاء الله نفعاً كان أو ضررا

وبالقضاء وبالأقدار أجمعها
فكل شيء قضاء الله في الزل
وكل ما كان من هم ومن فرح
قضاء من قضاء الله قدره
والله خالق أفعال العباد وما
ففي يديه مقادير الأمور ومن
فمن قدر فيمحيط الفضل ولقد
فليس في ملكه شيء يكون سوى

فصل في عذاب الفير وفتنته

ولم تلت قط من نفس وما قتلت
وكل روح رسول الموت يقيضها
وكل من مات مسوول ومفتن
وأن أرواح أصحاب السعادة في
لكنهما الشهدا أحياء وأنفسهم
والها في جنات الخلد سارحة
وأن أرواح من يشقى معذبة

من قبل إكمالها الرزق الذي قفرا
بإذن مولاه إذ تستكمل المغفرا
من حين يوضع مقبوراً ليحضرها
جنات عدن كطير يعلق الشجرها
في جوف طير حسان تعجب النظرها
من كل ما تشتهي تنجي بها الثمرا
حتى تكون مع الجثمان في سفرها

فصل في البعث بعد الموت والجزاء

وأن نفخة إسماعيل ثانية
كما بدأ خلقهم رأي يبعثهم
حتى إذا ما دعا للجمع صارحه
قال الإله: ففهم للسؤال لكي
فيوقفون الوقت من سببهم
وجاء ربك والأصلاك قاطبة
وجيء يومئذ بالشار تسحبها
لها زفير شديدة من تغيظها
ويرسل الله ضحك الخلق حائرة
فمن تلقته بالبعثى صحيفته
ومن يكن باليد اليسرى تناولها
ووزن أعمالهم حتى فإن ثقلت
وأن بالمثل تجزي السيئات كما
وكل ذنب سوى الإشرار يغفره
وجنة الخلد لا تقى وساكنها
أعدها الله داراً للمخلوقين

في الطور حتى فيحيا كل من قبراً
سبحان من أنشأ الأرواح والطورا
وكل ميت من الأموات قد نثرا
يقشع مظلومتهم بمن له قهراً
والشمس دانية والريخ قد كثرها
لهم صفوات أحاطت بالورى زمرها
عزانتها فأهالت كل من نظرا
على القصة وترمي لحومهم شرراً
أعمالهم كل شيء جل أو صغراً
فهو السعيد الذي بالفوز قد ظفرا
دعا ثبوراً وللشيران قد حشرا
بالخير فاز وإن عقت فقد حسرا
يكون في الحسنات الضعف قد وفرا
رأي لمن شا وليس الشرك تغفرا
مخلد ليس يخشى الموت والكبرا
يخشى الإله وللثعناء قد شكرا

وينظرون إلى وجه الإله بها
كذلك النار لا تفسى وساكنها
ولا يخلد من يؤخذ
وكم ينجي إلهي بالشفاعة من

كما يرى الناس شمس الظهر والفقرا
أعدوا الله مولانا لمن كفرنا
ولو بسفك دم المعصوم قد فخرنا
غير البرقة من عاصي بها سجزا

فصل في الإيمان بالحوض

وأن للمصطفى حوضاً مسافته
أحلى من العسل الصافي مذاقته
ولم يره سوى أتباع شئته
وكم ينقى وتنقى كل مبتدع
وأن جسراً على الشيران يعبره
وأن إيماننا سرعاً حقيقته
وأن معصية الرخصن تنقضه
وأن طاعة أولي الأمر واجبة
إلا إذا أمروا بوجعاً بمعصية
وأن الفضل لمن للذين رأوا
أعني الصحابة زهاداً بليغهم
وغيرهم من ولي منهم خلافته
والشاهدين بإحسان لهم وكذا
وواجب ذكر كل من صحابته
فلا تحط في حروب بينهم وقعت
والافتداء بهم في الدين مفترق
وترك ما أحدثه المحدثون فكم
إن الهدى ما هدى الهادي إليه وما
فلا مرا وما في الدين من جدلي
فهالك في مذهب الأسلاف فاقية

ما بين ضغنا ونصرى مكثا ذكرا
وأن يميزاته مثل النجوم ترى
سماهم: أن يرى التحجيل والفرا
عن وزده ورجال أحدثوا الغبرا
سرعة من لمتهاج الهدى عبرا
قصه وقول وفعل للهدى أمرا
كما يزيد بطاعات الذي شجرا
من الهداة نجوم العلم والأمر
من المعاصي فيلغى أمرهم غلوا
نبينا وبهم دين الهدى نصرا
وفي النهار لدى الهيجا ليوت شرى
والشق في الفضل للفتن مع غلوا
أتباع أتباعهم بشن قفا الأترا
بالخير والكف عفا بينهم شجرا
عن اجتهد وكل إن تحضت معطلوا
فاقتد بهم وأبح الآثار والشورا
ضلالة تبع والذين قد هجروا
به الكتاب كتاب الله قد أمرا
وهل يجادل إلا كل من كفرنا
نظماً بديعاً وجيز اللفظ مختصراً

يحوي مهنات باب في العقيدة من
والحمد لله مولانا وتسأل
ثم الصلاة على من عم بعثه
وميله نسخ الأديان اجتمعها
محمد خير كل العالمين
وليس من بعده يروى إلى أحد
والآل والطحسب ما ناحت على فنن

رسالة ابن أبي زيد الذي اشتهر
عقرا ما قل من كتب وما كثيرا
فأبدر الشفيعين الجن والبشر
وليس ينسخ ما دام الطغيا وجزا
به عثم النبيين والرسل الكرام جزا
ومن أجاز فحل فتلته غلزا
وزلنا وما عررت لشريرة نسخا



فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوع
٥	مقدمة الشيخ صالح آل الفوزان
٧	مقدمة المعني
١١	نص مقدمة الرسالة
٩٥	نظم مقدمة الرسالة



مفتی محمد رفیع

[illegible]

[illegible]



مفكرة



[illegible]



فقد

[illegible]

[illegible]



مقدمة





مقدمه

This image shows a single sheet of white paper with horizontal blue or grey ruling lines. A vertical margin line is positioned on the right side of the page. The paper appears to be part of a notebook or binder, as evidenced by the dark binding visible along the left edge. There are no markings, text, or drawings on the page.



مفكرة

